٢٠٩

HARLEQUIN

روايات احلام

أعدني إلى الصحراء

باربرا هاناي

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

أعدني إلى الصحراء

ضاعت في الصحراء مع رئيسها ...

غريس روبينز السكرتيرة الصارمة، الجادة أكثر من اللزوم، التي تخبئ جمالها الساحر وراء عقل لا يخطئ..

لا يخطئ ؟!! بلى ... إنه خطأ واحد فقط، لكن المصيبة أن ميتش وينتر ويرث رئيسها الذي وصفته بالقرصان كان شاهداً على هذه الهفوة التي أرادت أن تنساها.

... والآن هما وحدهما في البراري القفراء ... بينهما وبين الموت خطوات، وبينها وبينه ميثاق شرف.. وشيئاً فشيئاً تتساقط الأقنعة التي تحجب الحقائق ، وتتهاوى كل وسائل الدفاع...

١ ـ فتاة الاستعراض

مدت غريس روبنز يدها داخل حقيبة أمتعتها وتناولت على مضض الثوب الأسود الحرير المخرم، وهي تتساءل كيف بحق السماء ستتمكن من المضي قدماً باقتراح ماريا الشائن.. فهي حتى الآن، لم تكن قد ارتدت أبداً مثل هذا الثوب القصير، ولم تفكر قط في ارتداء ثوب كهذا يظهر تقاسيم جسمها.

خاطبت غريس نفسها في المرآة: «المشكلة أنك بطبعك متشددة..» فهي لا تجد أيّ متعةً في جذب الأنظار إليها. وأسوأ ما كان بالنسبة لها ارتداء ثوب سباحة من قطعتين على الشاطىء.

تنهدت.. ربما الحل أن تتقبل الأمر شيئاً فشيئاً.. فقد دخلت على كل حال شقة صديقها.

بعدما دخلت إلى الشقة وقفت غريس لتتأمل بدقة صورتها في المرآة الطويلة.. وتأثير جمال قدّها، الذي أُحيط بإطار الباب خلفها. إنها تبدو رائعة حقاً.. ربما كانت ماريا على حق فسيتفاجأ اليوم عندما يرى ما تبدو عليه من جمال أخّاذ.

أرسلت للمرآة ابتسامة عريضة مكشرة، وحاولت أن تأخذ شكلاً مغرياً، ليرتفع صوتها في فضاء الغرفة الفارغة: تا..تا.. إنه يوم الاستعراض... ألا أبدو جميلة؟.

حدّثت نفسها بقلق: لا.. إنها تبدو سخيفة.

جربت وضعاً آخر أكثر احتشاماً.. بالتأكيد لا.

أوه.. يا الله.. لماذا أزعج نفسي؟ ليست أنا من تقف هنا بالتأكيد!
رفعت يديها إلى وجهها بذعر ساخر. تأكدت أن لا فائدة حتماً، من تمثيل دور الأنثى الفتاكة، ولن تنجح أبداً بالقيام بمثل هذا الدور.

نظرت غريس إلى الساعة فوق طاولة الزينة، ورأت أن لا داعي للخوف الآن.. فما زال لديها ساعة من الوقت على الأقل لتفكر بهدوء وتعقل قبل عودة هنري..

عبست.. بهدوء وتعقل؟ منذ أيام وهي غير قادرة على وضع فقرة واحدة إلى جانب أخرى، وشدّت على كفيها.. كل هذا غلطة ميتش وينتويرث! الرئيس الجديد الذي دفعها لهذه الورطة!

منذ فترة أسبوعين، كان مجرد التفكير بتنصيب ميتش وينتويرث لإدارة الشركة، يبدو لها وكأنه يقضي على كل تفكير لديها.. كان سخطها وقلقها بسبب هذا الرجل هو الذي أوجد في الأساس فكرة ماريا السخيفة.

وقتذاك.. أراحت ماريا مرفقيها السمينين فوق طاولة الكافيتيريا، ودنت من غريس، وكل تعابير النصح على وجهها. ثم تنهدت لتقول:

ـ بالله عليك.. توقفي عن القلق بسبب ميتش وينتويرث وركزي اهتمامك على العلاوات. مديرنا الجديد مذهل، وسيأتي في أي يوم ليستلم إدارة «أفلام تروبيكانا».. وأنت، كمساعدة له، ستعملين معه جنباً إلى جنب.. هل رأيت صورته على غلاف مجلة «موفي ماغ؟»

أخرجت ماريا من حقيبة يدها مجلة ورمتها على الطاولة.

ردت غريس، وأنفها ينكمش بازدراء:

ـ بالطبع رأيتها.. نظرة واحدة إلى ابتسامته الزائفة المتكبرة، وإلى المرأتين المتعلقتين بكل ذراع من ذراعيه، جعلتني أشعر بالرغبة في تقديم استقالتي.. وعلى الفور.

برقت عينا ماريا السوداوان بعدم تصديق:

ـ متكبرة وزائفة!.. إنها ابتسامة ظريفة بالنسبة لأي كان.. ميتش هو مثال ط. أ. وص.

ـ عفواً؟

ـ طويل وأسمر، وصعب المنال.

زمّت غريس شفتيها بقسوة ودفعت المجلة جانباً.

ـ واثقة، أنه في حالته هذه، سيكون طويلاً وأسمر وصعب الإرضاء وواثقة أن العمل معه سيكون فظيعاً.

ـ نصف النساء العاملات في صناعة السينما يتمنين أي فرصة للحصول على وظيفتك، فيكفيهن أن يتنفسن الهواء عينه الذي سيتنفسه ميتش وينتويرث.

تنهدت غريس: «هذا يكفي! كل ما أسمعه من هنري هو كم أنا محظوظة لأنني سأعمل مع ميتش وينتويرث العظيم».

فرفعت ماريا أصابعها بحركة المنتصر:

ـ هنري؟ الآن فهمت! وينتويرث ليس مشكلتك، إنه صديقك.. هنري. كان يجب أن أعرف.

أدارت غريس عينيها.

ـ لقد ارتكبت خطأ عندما تحدثت بمشروع فيلم وينتويرث القادم «الغد الجديد» وها هو هنري يقضي كل ليلة وهو يصمم رسومات على الكومبيوتر، رسومات يعتقد أن وينتويرث سيرغب في استخدامها.

ـ وهكذا ليس لديه وقت لك؟

ـ بالضبط.

لقد التقت هنري بعد وصولها إلى بلدة تاونسڤيل قادمة من سيدني. وكانت فرصة جيدة ليعرفها على البلدة.. لكن، منذ أسبوعين، وبسبب تأكده من قدرتها على التأثير في رئيسها الجديد، بدأت حماستها تجاهه تخف إلى حدٍ ما.

إن تجربة غريس مع الرجال، جعلتها امرأة قلقة، فما زالت تعذبها ذكرياتها عن روجر ذلك الجرذ المهذب القاسي، الذي حطم قلبها. بعد تلك التجربة المدمرة، لم يكن من الصعب عليها أن تكتشف أن ميدان العمل هو

أرض الرجال المغرورين، الرجال الذين يحاولون أن يحطوا من قدر النساء.

لهذا السبب كانت تواعد هنري، الذي لم يكن وسيماً لكنه شخص يتمتع بفضائل أخرى لها الأولوية عند غريس هذه الأيام، فهو متعلم رزين والأهم من كل هذا أنه أمين.

وهزت كتفيها ترد على ماريا:

ـ أنا.. لا أعتقد أن هنري غير مهتم.. إنه فقط يبدو أحياناً ذاهلاً.

ـ ذاهل؟ ما الذي يلهي رجلاً حقيقياً عن جمال وجهك هذا عدا ذكرك قدّك.

ـ الكومبيوتر لعبة مذهلة.

ـ أتحبينه؟.

مررت غريس يدها في شعرها الأحمر البني الكثيف تنفضه عن قلادتها.

ـ أنا أشعر أنني.. مغرمة بهنري.. أما هو.. المسألة.. كلها مسألة وقت.

هزّت ماريا رأسها بخيبة بعدما كادت تصيح بذعر:

ـ وقت؟.. فتاتي العزيزة.. الحل هو قطع سريع للعلاقة. انسي أمر هنري، وتطلعي إلى مستوى أعلى.

ـ أعلى؟ ماذا تقصدين؟

ـ ميتش وينتويرث بالطبع، بإمكانك الإيقاع بالرئيس الجديد.. فلديك كل ما يلزم.

نظرت ماريا إلى جسدها الممتلىء وقالت بحسرة: «ليتني لا أحب الشوكولا!».

وقفت غريس على قدميها بقوة لتصيح بصوتٍ مرتفع:

ـ الرئيس الجديد؟ أين ولاؤك ماريا؟ فكري في ما فعله برئيسنا السابق جورج هيرفي، الرجل العجوز المسكين الذي رمي فوق... القاذورات باستيلاء وينتويرث على الشركة.. لقد اقتحم وينتويرث طريقه إلى الشركة بالقوة ويتوقع منا أن نتحول فوراً إلى الطاعة العمياء.

جلست مجدداً، وأخذت بيد صديقتها:

ـ شكراً لاحتضانك لي بعطف.. لكنك بعيدة كثيراً عن الهدف. لا أستطيع تحمل فكرة العمل مع الرجل، فكيف أن...

لقد انتفض قلبها لمجرد التفكير في مثل هذه اللعبة.

ـ سأبقى قطعاً مع هنري.

ـ هل أنت واثقة؟

فجأة شعرت غريس أنها واثقة فعلاً.

مرافقة صديق مثل هنري أمر عقلاني يبعث على الاطمئنان ويشبه ارتداء حزام الأمان في سيارة، لكن التعرف إلى رجل بغاية التسلط مثل ميتش وينتويرث، كحكمة الغطس تحت الماء مع أسماك القرش.

قالت: «يجب أن أجد طريقة لأبعد هنري عن الكومبيوتر، وأعيد اهتمامه بي مجدداً».

انفرج وجه ماريا بابتسامة واضحة:

ـ لا تقلقي عزيزتي، لقد خطرت ببالي فكرة لامعة.. وسنضع حداً لسخافة هنري. قبل وصول السيد وينتويرث ليلهي صديقك، سنلهيه نحن وسنجعل هنري يلاحظ وجودك!

بدت ماريا أكثر اندفاعاً فسارعت غريس تقول:

ـ أوه.. لا أدري ما إذا كان هذا ضرورياً.

كيف تحول حديث عادي عن ميتش وينتويرث إلى نقطة تستعد فيها صديقتها كي تطلق فكرة إنقاذ لحياتها الغرامية؟ تابعت محاولةً بمضض الحد من لهجتها القاسية:

ـ أنا ممتنة لنواياك الطيبة.. لكنني لست يائسة إلى هذا الحد وأعتقد حقاً أن هذا أمر بيني وبين هنري فقط.

وقعت عينا غريس على هيئة ميتش وينتويرث المبتسم على غلاف «موڤي موغ».. صورته وهو يقف بباب مكتبها علقت في مخيلتها بشكل خطير.. ما إن يصل الرئيس الجديد، حتى تصبح هذه الابتسامة الوقحة، وهاتان العينان

كعيني ولد شقي، وهذه العضلات غير المحتشمة، على مسافة قصيرة منها.

كيف يمكنها بحق السماء متابعة عملها كل يوم بينما رجل مثل ميتش وينتويرث يحاول أن يحيط بمكتبها بأسلحة مثيرة وقاتلة؟

هذا الإدراك المفاجيء، دفع غريس إلى العمل، وقالت لماريا:

ـ حسناً.. سأعطي هنري فرصة أخيرة.. ما هي فكرتك اللامعة؟

لكن الإصغاء إلى خطة عمل ماريا كان أسهل جزء.

الآن، وغريس تقف ترى بمرآة هنري مشهد عينيها الواسعتين المتلهفتين وأصابعها المرتجفة، استطاعت أن تتحرر من عقدة الذنب التي ولدت عندها بعد قرارها بترك العمل باكراً، ودخولها شقة هنري، فالوقت الضائع يمكن تعويضه في يوم آخر.

***

حاول ميتش وينتويرث تبديد شعور البهجة الذي تملكه حين وصل إلى تاونسفيل مبرراً ذلك بتأثير جو الطيران فيه. السفر من سان فرنسيسكو والوقوف بضع ساعات في مسقط رأسه سيدني قبل توجه الطائرة شمالاً إلى تاونسفيل كان كافياً لكي يشعر معظم المسافرين بالإرهاق.. وربما كان من الخطأ أن يلقي نظرة خاطفة على مولوده الجديد «تروبيكانا فيلم» في وقت متأخر من النهار.

في هذه المرحلة، لم يكن هناك سوى فريق متقدم يعمل على المشروع، هكذا توقع أن تكون معظم المكاتب فارغة.. لم يكن أمراً غريباً أن يرى معظم الموظفين قد غادروا إلى بيوتهم.

كان اسمها على باب المكتب المقابل له.. غريس روبنز! وبعد أن حدّثه جورج هارڤي عنها وعن كفاءتها، وإخلاصها للشركة، ومواهبها المذهلة.. اعتقد أنه ربما.. وربما فقط، بقيت متأخرة لتقابله.. في الواقع، وبعد أن أرسل فاكساً بموعد وصوله، توقع أن تلتقيه في المطار.

عندما كان خارجاً من بوابة مطار تاونسفيل، راحت نظراته تبحث بحرص عن امرأة في منتصف العمر، ترتدي ثياباً محافظة تلوح بلوحة كتابة

أو أي شيء يدل على كفاءتها.. هكذا كان يتصور غريس روبنز، بعدما عرّف عنها جورج لمدة عشرين دقيقة.

الواضح أن وصف جورج لغريس كان مبالغاً فيه ونابعاً من حماسته... وقرر ميتش دخول مكتبها.. إن هذا المشروع أكثر من مهم.. لأنه استثمر معظم أمواله في مشروع فيلم «الغد الجديد» هذا الفيلم يجب أن يأخذ ضجة يتردد صداها، وهو بحاجة إلى أفضل المحترفين لدعمه. ويتوقع أن تكون الآنسة روبنز العنصر الرئيسي في المشروع.

حاول ميتش أن يبدو متعقلاً ليبعد عنه القلق، فليس عليه أن يحكم على المرأة لأنها ليست هنا والأهم أنه في الواقع وصل متسللاً دون أن يُعلم أحداً، فقد أرسل الفاكس قبل مغادرته سيدني مباشرة، وربما كان لديها موعد مسبق.. دفعها للعودة إلى منزلها أو أي سبب آخر.

تطلع بنظراتٍ ضيقة في المكتب، لا يستطيع الحكم كثيراً في هذه المرحلة.. جهاز الكومبيوتر مطفأ طبعاً، وهناك كومة رسائل مرسلة عبر الفاكس موجودة على مكتبها، لكنه لم يكن ينوي النظر إليها. فكر أنها ليست شخصاً يملأ مكتبه بأشياء شخصية أو صور عائلية.. وأعجب ميتش هذا. إنه يحب الموظف الذي يفرق بين عمله وحياته الشخصية تماماً.

وقع نظره على آخر نسخة من مجلة «موڤي موغ» ملقاة على حافة طاولتها. التقطها بتجهم، وازداد توتره، وضاقت عيناه، إذ أخذ شخص ما قلماً سميكاً أسود وأضاف رسماً إلى الغلاف.. أصبحت صورته تحمل شارباً كشارب هتلر ونظارة سميكة الإطار.. وبعض أسنانه باتت سوداء فبدت بذلك ابتسامته سخيفة وأسنانه متباعدة.

ارتفعت كتفا ميتش، وأخذ يسحب نفساً طويلاً ثم يزفره ببطء. وبعد ذلك، طوى المجلة ببطء ووضعها في جيب معطفه.

وفيما قفل عائداً عبر المقهى الفارغ أحس بإرهاق السفر أكثر فأكثر.

حين وصل إلى الأبواب الزجاجية السميكة لمدخل الاستديو، لاحظ وجود شخص طويل أسمر في الخارج. رجل شاب مندفع، يومىء بحيوية

إلى نفسه ثم إلى ميتش.

للحظة، عاد الأمل لميتش، هل حضر أحد الموظفين النشيطين ليقابله؟

فتح ميتش الباب واندفع الشاب إلى الأمام، ويده ممدودة:

ـ سيد وينتويرث؟

هز ميتش رأسه والرجل يدخل من الباب ويصافح اليد الممدودة إليه: «كيف حالك؟».

ـ بخير تماماً، شكراً لك، أنا هنري اسبينال، لقد أسعدني لقاءك هنا سيد وينتويرث، وهذا في الواقع شرف لي. أوه يا إلهي.. إنها ضربة حظ أن ألقاك هنا سيد وينتويرث، كنت أحاول الاتصال بغريس طوال بعد الظهر لأتأكد من موعد وصولك، و.. و..

قاطعه ميتش بحماس كبير:

ـ غريس؟ غريس روبنز؟ وهل تعرفها؟

هز هنري رأسه:

ـ بالطبع.. حين لم أستطع الاتصال بها في شقتها، فكرت أنها لا تزال هنا.

ـ لا.. لا يوجد أحد هنا.. ولا حتى الآنسة روبنز.

ابتسم هنري: «أوه.. حسناً.. لا داعي للقلق، فأنا أردت أن ألتقيك أنت. هل تلقيت رسائلي عبر البريد الاليكتروني؟».

فرك ميتش جبينه، وهو يعاني من الإرهاق الذي أخذ يربك ذاكرته:

ـ أسبينال.. أسبينال..

أراد أن يتذكر ما إذا كان هذا الشخص مهماً بحيث يجدر به أن يتذكره أو أنه فقط مجرد معجب مزعج.

استغل هنري فرصة التردد:

ـ لقد أخبرتني غريس عن فيلم «الغد الجديد» ولقد صممت بضع صور على الكومبيوتر لدجها بطريقة جميلة مع براري «نورث كونيزلاند».

رفع ميتش يده محاولاً أن يخفف شيئاً من حماس هنري:

ـ طبعاً، لقد أغرقت مكتبي في لوس أنجلوس بالرسائل، لقد صممت بعض الصور لمشهد عنف.

بدا هنري متهللاً: «هذه هي سيدي! ما رأيك؟ هل ترغب في رؤيتها»؟.

أطلق ميتش نظرة مقوّمة على هنري:

ـ هل تمانع لو بدأنا نسير.. فأنا أريد الوصول إلى فندقي.

ـ أجل سيدي، لا مشكلة.. أين تقيم؟ في الشيراتون؟ سيشرفني أن أوصلك.

هز ميتش كتفيه.. ما المانع أن يذهب مع هذا الشاب فإن ذلك سيوفر عليه انتظار التاكسي..

وهما يخطوان إلى الشارع، قفز هنري طرباً فوق الرصيف:

ـ شقتي على الطريق.. كل شيء جاهز لدي، يمكننا الوصول إلى هناك، حيث أريك ذلك بسرعة..

رفع ميتش بيده محاولاً إسكاته: «حسن جداً.. خذني إلى شقتك».

وسارع هنري يفتح باب السيارة القديمة الصدئة. ثم توقفت السيارة ولله الحمد! بعد خمس دقائق أمام مجموعة من المنازل المتلاصقة... وأصدر باب السيارة صريراً وهو ينفتح، وتحضر ميتش للحاق بهنري إلى شقته.. بعد الجلوس ولو لفترة قصيرة عاد إليه الإرهاق لذا قرر اختصار هذه الزيارة. وكل ما يريده الآن هو أن يأوي إلى فراشه، وينام لثلاثة أيام.

قال هنري معلقاً وهما يقطعان الباحة الخضراء.

ـ هذا غريب.. لا أذكر أنني تركت أي ضوء.

وابتسم بقلق والتفت نحو ميتش وهو يبحث بين مفاتيحه عن المفتاح الصحيح. لكن مفتاحه لم يصل إلى القفل.

فيما كان وقع أقدامهما يتردد صداه على المدخل الإسمنتي الضيق.. انفتح الباب الأمامي.

ـ مفاجأة!

واندفع من الباب نور قوي، ليضيء وجه المخلوقة الجميلة التي ترتدي ثوباً رائعاً يظهر تقاسيم جسمها بروعة.

ـ إنه يوم الثلاثاء! اليوم الوطني لاستعراض الصديقات!

لأن ميتش كان واقفاً في الظل سمع بغموض الأصوات المخنوقة الصادرة عن ميتش. ولكن هذا الجمال الذي أمامه صدمه ومنعه من التدخل أو التكلم.

آلهة طويلة، حمراء الشعر، كانت تقف أمامهما، ترتدي ثوباً أسود قصيراً، أكثر إغراءً مما رآه في حياته! إنها امرأة جميلة تقطع الأنفاس فعلاً. بشرتها بلون العاج وثناياها النسائية رائعة.. إنها نحيلة وفاتنة بحيث يتمنى أي رجل أن يقترب منها.

رفرف بعينيه، ثم فتح عينيه باتساع مرة أخرى لئلا لا يفوته هذا الجمال. ولكن ما لفت نظره هو ما لمحه في نظرات عينيها التي لا تنسجم مع مشهد الإغواء الفاتن.. هل هو الخوف أم الإحراج؟ رفعة رأسها الخجولة، وانحناءة كتفيها جعلتاه يفكر بفتاة صغيرة دفعت تحت أضواء المسرح على يد والد طموح جداً. لهذه المرأة جمال رائع ومظهر طفلة ضعيفة.

صاح هنري: «ماذا تفعلين بحق السماء؟».

جعلتها نبرة صوته تتراجع إلى الوراء لتصطدم بإطار الباب وكأنها دمية خشبية تقطعت خيوطها.. لكن عينيها وفي هذه اللحظة وقعتا على ميتش فذعرت.

تأوهت: «أوه.. يا إلهي!».

وحدقت في ميتش والرعب مسيطر عليها ثم صاحت:

ـ أوه.. لا! أوه لا..

أمسكت بالباب بسرعة كبيرة وأطرقته بوجهيهما.

***

٢ ـ ذاكرة رجل

ـ غرايس! ما الذي دهاك؟

استدارت غرايس ترتجف رعباً.. اتسعت عيناها عندما شاهدت هنري يتقدم نحوها عبر غرفة جلوسه ووضعت يدها على فمها.. كان وجهه القرمزي يتلوى غضباً.

صاح: «هل تدركين ماذا فعلت لتوك؟ أتعلمين من...؟».

توقف عن الصراخ فجأة.. وكأنه أدرك أنه يزيد من سوء هذه المهزلة، وانخفض صوته إلى همس مذعور:

ـ هذا ميتش وينتويرث على الباب!

تأوهت غرايس: «أعرف.. أعرف..».

ـ لماذا جئت إلى هنا دون أن تخبريني؟ فماذا سيظن بنا الآن؟.

وكأنما الجواب على سؤاله خطر على باله فجأة، فأخذ يتمتم لاعناً، واستدار على عقبيه وعاد إلى الباب الأمامي.

سمعت هنري يصرخ:

ـ لقد ذهب! وينتويرث ذهب!

اندفع هنري بعنف إلى الغرفة.

ـ لقد دمرتني! تدركين هذا.. أليس كذلك؟ لن أحظى الآن بفرصة لبرى رسوماتي.

لوّح بيديه في الهواء وأخذ يحدق فيها:

ـ لقد أحضرت ميتش وينتويرث إلى هنا غرايس.. هنا في منزلي.. كان

سيلقي نظرة على كل تصميماتي الليلة! الليلة! أيتها المرأة الغبية! لقد أفسدت كل شيء.

ارتجفت غرايس:

ـ أنا آسفة هنري.. كيف لي أن أعرف أنك ستأتي به إلى هنا؟ فأنا لم أعرف حتى أنه في تانسڤيل.

لم تكن تريد الآن إلا مغادرة هذا المكان.

كان هنري مهتاجاً كولدٍ مدلل أوقع الآيس كريم على التراب.. وتمتمت:

ـ أنا واثقة أنك ستتمكن من عرض أفكارك عليه في وقت آخر.

لماذا أضاعت لحظة واحدة في محاولة إثارة اهتمام هنري بها؟.

رفعت كتفيها بهزة غير مبالية.

ـ بدت.. فكرة جيدة في وقتها..

لكن ليس بعد الآن! واجتاحتها موجة خجل وخوف من جديد.. لم تدرك يوماً أنها في مكان خاطىء ووقت خاطىء مثل اليوم!

أمسكت حقيبة أغراضها، وقالت متمتمة: «لن أطيل البقاء».

كفكفت برفرفة عينيها دمعة إحراج وخجل، وتجاوزته مسرعة إلى خارج الغرفة.

لكن المشكلة الكبيرة، هو الغد! فكيف ستتمكن من مواجهة مديرها الجديد؟

أرجوك.. أرجوك إلهي.. لا تدعه يتعرف إليّ! لا تظنه سيتعرف إليها فما وضعته على وجهها من مساحيق أخفى معالم وجهها وهي عادة لا تتبرج كثيراً.

حين دخل ميتش وينتويرث إلى مكتبها في الصباح التالي، انحنت غرايس فوق جهاز الكومبيوتر، ودعت ربها كما لم تدعه يوماً.

كانت مستعدة أن تزحف في كيس من الخيش ذلاً وندماً. ستتبرع بمبلغ كبير للفقراء، وقد تفعل الاثنين معاً، أي شيء شرط أن لا يظنها امرأة فاسدة

تقيم علاقة غير لائقة مع هنري.

هذا الصباح، عانت الكثير كي تبدو مختلفة عن الليلة السابقة. لكن هل كان ذلك كافياً؟ فجأة، وميتش وينتويرث واقف وسط مكتبها، شكت غرايس في أن مراهم الشعر وتسريحة الكعكة البدائية قادرة على تغيير مظهرها.. كما شكّت في قدرة النظارة السميكة الإطار التي استعارتها من جيرانها؟ الأمر الوحيد الذي أعاد لها اطمئنانها، هو أن ميتش قد لمحها الليلة السابقة لوقت قصير جداً، وبالتأكيد، هذا الفستان البني الكئيب البسيط المحتشم سيخفي شكل جسمها.

ما حصل من جدال على مدخل شقة هنري كان محرجاً ومخجلاً.. لكن لحسن الحظ لم يلاحظ ميتش وينتويرث أي علاقة تربطها بهنري اسبينال.. أو بتلك المرأة التي استقبلته.

مع ذلك، عندما اتجه نحوها كانت تبدو وكأنها تحضر نفسها لتلقي ضربة قاسية.

ـ صباح الخير.. من السعادة والشرف لي أن أقابل الآنسة روبنز؟

حدّقت عيناه السوداوان فيها بدقة، ولكنه لم يظهر ما يدل على أنه رآها من قبل.

أجل! وعمت الراحة نفس غرايس، لكن لم تظهر معالمها على وجهها وهي ترد:

ـ صباح الخير سيد وينتويرث.

وقفت تمد يدها لتحييه بشكل رسمي.. وأحست وكأن الغرفة تضج من حولها لشدة توترها. مصافحته كانت قوية وصارمة.

يا الله.. إنه طويل! وعريض الكتفين.. كانت متحضرة لأن ترى البنية العظيمة الشديدة التحديد، والشعر الأسود الكثيف، والعينان المغريتان، وليلة أمس عرفت أنه رجل ضخم.. لكن الآن، وهو في مكتبها الصغير، كان يشغل مساحة كبيرة.. ولا مجال للتهرب من طراز رجولته الصاخبة.. ومن المظهر الذي تعلمت غريزياً أن لا تثق به.

ـ لقد أوصوا بك كثيراً فجورج هيرفي أعطاني تقريراً رائعاً عنك.

ابتسمت بفتور، لكن ميتش لم يبادرها بالابتسامة، بل أكمل:

ـ لكن، كل هذا انتهى الآن.. عليك أن تثبتي نفسك.

أثبت نفسي؟

رغم توترها علا وجهها احمرار الغضب، ها قد بدأنا: القرصان المتعطش للدماء يستولي على الدفة!

ظهرت على وجهها علامات التحدي والاستنفار لكن سرعان ما تداركت موقفها، فغضت طرفها. كان لعينيها الخضراوين الغاضبتين جاذبية مميزة تثير اهتماماً من حولها لا تريده.

تكلم ميتش مجدداً، بلكنته الأوسترالية الممتزجة بالرنة الأمريكية المميزة التي امتلكها بعد سنوات عديدة من إقامته في الولايات المتحدة.

ـ أتوقع التزاماً وولاءً مئة بالمئة.

ـ طبعاً سيد وينتويرث.

سحب نفساً حاداً، وشكت غرايس في أن يكون صوتها الناعم الخنوع قد أثاره.. مع ذلك فقد تابع دون تردد.

ـ أنت مفتاح أساسي في نجاح مشروع «الغد الجديد».. لكن.. أنا المشروع.. وأنت تعملين عندي الآن غرايس روبنز. وحين تفكرين في «الغد الجديد» فكري فيّ.

إنه مغرور بنفسه كما توقعت! على أي حال، لا تستطيع إنكار واقع أن أفكاره مثيرة جداً.. إنه مشروع تتوق للمشاركة فيه بفعالية.

ردت: «فيلمك يعتمد على المنطق».

ودت لو تكمل.. لكن ميتش، مد يده إلى جيبه وأخرج منه شيئاً، بدا كمجلة. ورماها على الطاولة. وبدا لها رئيسها مبتسماً، لكن وجهه مختبىء وراء شارب، ونظارة لا إطار لها.. وأسنان سوداء!

أحست غرايس وكأن معدتها امتلأت إسمنتاً.. كان رسمها دليلاً واضحاً على نوبة الغضب التي انتابتها في المكتب بعد نقاشها مع ماريا وقت

الغداء.

لكن.. كيف وجدها بحق الله..؟. وأجفلت. وكتمت تأوهاً.

كادت تصرخ.. لماذا لا تكون الحياة الحقيقية كصناعة الفيلم؟

لن ينقذها أحد من عملها الطائش.. في هذه الثواني القليلة أملت غرايس أن يغمى عليها ولكن الحظ لم يسعفها.

ارتجفت ساقاها، وكادت تنهار.. ولم يهبط عليها ظلام مريح.. وبقي ميتش وينتويرث واقفاً أمامها، يسمّرها في مكانها، بنظرته الباردة الثابتة.

قال بصوت ملؤه التحدي «يبدو أن لديك مشكلة».

ارتجفت قليلاً، وتمسكت بظهر كرسيها.. وكرر ميتش: «الواضح أنك غير موافقة على مجيئي».

أين سمعت أن أفضل دفاع هو الهجوم؟ أشارت إليه بإصبعها وهي ترتجف:

ـ أنت.. تتجسس عليّ!

حدق فيها بصمت يكتنفه غضب عارم.. ثم، ويا للدهشة! هز رأسه وسار مبتعداً.. كان يعطيها ظهره، لكنها أحست بغضبه من خلال هزة كتفيه.. ثم استدار بسرعة ليواجهها مجدداً:

ـ أنا لا أتجسس آنسة روبنز! زرت المكان مساء الأمس لأتفحص المكاتب.. مكتبي. ولم أكن بحاجة لتحري خاص ليكشف أثر ما تركت بكل جرأة على مكتبك.. هنا تماماً!

أشاحت غرايس بوجهها.. إنه على وشك أن يطردها من العمل.. وهي لا تستطيع لومه. لكنها تحب عملها.. ففي السنوات الأربع الماضية أصبح عملها أهم شيء في حياتها! بطريقة ما، رفعت عينيها مجدداً فوجدت ميتش يتفرس بها، ويداه مدسوستان عميقاً في جيبيه.. إذا كان سيطردها، تتمنى لو يفعل هذا بسرعة.

ـ هل تريدين أن تكملي المشروع؟

ـ هه؟ أنا.. أعني أرجو عفوك؟

ـ الغد الجديد.. هل ترغبين البقاء في فريق العمل؟

ـ أجل.. أريد وأرغب في ذلك كثيراً.. الواقع أنني ملتزمة به.. وأنا..

ـ وهل تريدين العمل معي؟

ترددت للحظة لكن ترددها القصير سرعان ما رسم على وجهه ملامح عبوس وانفعال.

ـ أجل.. أجل.. أريد.

التقط ميتش المجلة المهينة ورماها في سلة المهملات.. ثم بدأ يسير ذهاباً وإياباً:

ـ حسن جداً غرايس.. سننسى هذا.

غرايس؟ وهل نسي الآنسة روبنز؟

تابع: «ليس لدي اعتراض عليك في هذه المرحلة.. وإذا كان لديك اعتراض، من الأفضل أن تصارحيني به».

ونظر إليها متسائلاً، فهزت رأسها نفياً.

سأل بإصرار: «هل أنت واثقة؟».

نعم لديها اعتراضات على ميتش وينتويرث.. لكن ماذا يمكن أن تفعل بها؟ خاصة الآن بعدما حشرها في زاوية؟

فقالت له ملوّحة بغصن الزيتون:

ـ ليس لدي أية شكوى.. و.. وأعتذر.. ما كنت أقصد أن ترى تلك المجلة السخيفة.. وأعترف.. أنني كنت مخطئة.

التفت إليها ونظر إليها متأملاً، ويداه على خصره.. بدا الآن فاتن الجمال وسيماً.

أنهت كلامها بتحدٍ:

ـ لكن، هل يمكن أن توفر علي موعظة أخرى؟

ضحك لبرهة وعيناه تتراقصان ثم ما لبث أن عبس مجدداً.

ـ لا غرايس.. أرى أنك مضطرة لتصبري عليّ لفترة أطول.. أترين؟

من الآن وصاعداً، يجب على الناس أن يعتادوا اتباع أوامري.. ومشروع «الغد الجديد» يجب أن يأخذ كل الاهتمام من الجميع.. إنه همي الأساسي، ويجب أن يكون كذلك بالنسبة للجميع ومن لن يظهر هذا الاهتمام فسيواجه متاعب.. وإذا كان لرؤوس أن تتدحرج..

أمال رأسه جانباً، وهدر: «.. فليكن هذا».

ردت غرايس: «فهمت».

علا احمرار بسيط خديها.. كيف يجرؤ على القول أنها لا تركز؟ لطالما افتخرت بالتزامها المهني.

ـ أنا مدركة كلياً أنني ألعب مع الكبار الآن.

قال يردد بصوت هامس: «الكبار..».

والتقت عيناه للحظة بعينيها ثم نظر إلى فمها. وأحست غرايس وكأنها داست على رمال متحركة. كيف يؤثر فيها هكذا؟

ثم عاد وأدخل يديه في جيبي بنطلونه، ليقف على مسافة قصيرة منها..

شدت على شفتيها اللتين كان يتأملهما بدقة، وبدأت تقول أي شيء لتغطي عذابها:

ـ أنا.. ستجد أنني كنت أعمل بنجاح على اختيار المواقع، سيد وينتويرث.. ولقد اتصلت بأصحاب الأملاك في منطقتي «تايلاندز» و«غولف».. ولقد تلقيت عروض الإيواء والخدمات، من مدراء المؤسسات السياحية العاملة في الشمال.. وحصلت على خرائط مفصلة من الجيش، ومعلومات عن الطرقات.. والانترنيت هناك متوفر..

رفع ميتش يده: «كفى.. حسن جداً.. لقد أثرت فيّ.. وأنا واثق أن كل شيء موجود في تقريرك».

برقت عيناها: «وكيف أستطيع أن أمتنع عن الكلام؟ أنت تربكني كثيراً حين.. حين تستمر في النظر إليّ.. هكذا».

وظهرت علامات الخجل على وجنتيها.

تقدم ميتش خطوة.. وللحظة تقطع الأنفاس، ظنت غرايس أنه

سيلمسها . . وسأل ببرودة :

ـ ألا تحبين أن ينظر الرجال إليك؟

صاحت وقلبها يخفق : «بالطبع لا» .

غض طرفه عنها ثم ارتدّ وعلى أطراف فمه ابتسامة تملق .

قالت ساخطة : «ما من امرأة تحب هذا!» .

قال ميتش : «النساء المغرومات لسن مناسبات في مواقع العمل . . كنت أتأملك ، فوجهك يثير الاهتمام» .

ابتلعت غرايس ريقها وهي لا تدري كيف تردّ .

تحرك إلى الباب ، ثم توقف . . حرّك إصبعه على إطار الباب الخشبي .

شعرت غرايس بضيق في صدرها . وقف متردداً وكأنه يريد الاستمرار في توبيخها حول شيء ما ، وتمنت لو أنه يفعل وينهي الأمر .

ما خطر ببالها جعلها مصدومة فجأة ، وشدت قبضتيها بقوة حتى أن أظافرها غرزت في كفيها . . بكل تأكيد هو لن يعلن أنه قد تعرف إليها؟ وأنه عرف أنها تلك المرأة التي كانت في شقة هنري .

لكن حين تحول بنظره إليها مجدداً ، هز رأسه فقط ، وقال بدبلوماسية مدروسة :

ـ من الرائع أن ألقاك غرايس . . وسأكون متشوقاً لقراءة تقريرك .

ما إن غادر حتى تهاوت ركبتا غرايس ، فغاصت في مقعدها .

حاولت أن تطمئن نفسها بأن ميتش لم يتعرف إليها فلو تعرف عليها لكان صارحها بذلك . . كما صارحها بأمر المجلة .

المجلة! بخضوع ، دفنت وجهها بين يديها . . المجلة! وجودها في شقة رجل أعزب وكأنها فتاة فاسقة! كيف لها أن تتعامل مع هذا؟

نظرت إلى لوحة مفاتيح الكومبيوتر ، وعرفت معنى الندم . . لكنها بعد معاتبة النفس رأت أن ما يؤلم أن لا يكون العقل البشري مثل هذا الكومبيوتر وأن لا تجد طريقة لتلغي ذاكرة رجل . . والنجاة مما تفعل .

* * *

٣ ـ النوم على حافة بركان

طوى ميتش تقرير غرايس عما اختارته لمواقع تصوير «الغد الجديد» . . ووضعه بتأنٍ على طاولته ، ثم ردّ كرسيه إلى الوراء ، ونظر إلى ساعته .

تفاجأ أن الوقت قد فاته فقد أصبح السابعة مساءً . . لا عجب أن معدته كانت تهدر جوعاً . في الأيام الثلاثة الأخيرة منذ أن وصل إلى البلدة ، كان أمامه عمل كثير يراجعه ، بحيث كان يبقى كل ليلة حتى وقت متأخر في المكتب ، ثم يشتري طعاماً جاهزاً من مطعم الأكل السريع المجاور بدلاً من أن يأكل وجبة ملائمة في مطعم الفندق .

أسبل ذراعيه ثانيةً ، وشبك يديه خلف عنقه . كانت هذه الوضعية تشعره بالراحة أثناء التفكير في أمر ما .

ومحور تفكيره الآن هو غرايس روبنز .

هذا التقرير الذي قدمته مؤثر حقاً ، الكتابة الواضحة المتقنة ، الخرائط ، التنسيق الذي لا خطأ فيه والاهتمام الكامل بالتفاصيل ، أمور تظهر دون مجال للشك أن غرايس إدارية بارعة .

في فترة شهرين من انتقالها من مكتب سيدني لتكون عضواً في الفريق العامل من تاونسڤيل ، جمعت غرايس كمية مذهلة من المعلومات عن المنطقة الشمالية . . أثناء قراءته للتقرير أثار اهتمام ميتش كل المواقع المرشحة التي أشارت إليها .

وما أدهشه حقاً ، قدرتها على معرفة ما كان يحاول تحقيقه بهذا الفيلم . . مع أنه لم يرسل سوى اقتراح مكتوب ولم تقرأ نص القصة بعد . .

مساعدة تستطيع ببرمجة دقيقة شق طريقها عبر تفاصيل يعوزها الترابط، لتجد بالضبط ما له صلة بموضوع العمل، مصدر قوة عظيم.. حين أخذ بعين الاعتبار كفاءتها ومؤهلاتها، عرف ميتش أن جورج هيرفي كان على صواب.. لغرايس قيمة لا تقدر للشركة.

من المؤسف ألا تترافق هذه المؤهلات مع شخصية لطيفة مشرقة..

الأيام الثلاثة التي أمضاها في الشركة، كانت تعابير وجهها مهذبة وإن بغير ود.. والآن بدأ يعتقد أنه حلم بأنه رأى ذلك الجمال الساحر الذي شاهده في إطار باب شقة هنري اسبينال.

كانت غرايس تتنقل في المكتب ورأسها محني ترتدي اللون البني أو الرمادي الكئيب الذي كان يظهرها كفأرة ضعيفة.. ولم تكن تشبه تلك المرأة التي ارتدت ثوباً أسود رائعاً يظهر مفاتنها وسحر وجهها.

ربما عليه أن يبادر بشيء ما ليضع مناخ المودة بينهما.. لكنه كان يرى بضرورة الفصل بين العمل وأموره الشخصية.

فتح غطاء التقرير البلاستيكي، ووصل مجدداً إلى توصيات غرايس. قرأها مجدداً، والقلم في يده، يضع الدوائر على نقاط محددة ويسجل ملاحظاته على الحاشية، وكان متأكداً من خياراتها المثيرة للاهتمام والتدقيق.

***

غرايس مميزة في مجال الطهو.. لذا كانت تغتنم الفرصة عندما تشعر برغبة في القيام بذلك لتحضير كميات كبيرة تدوم لعدة وجبات.. الليلة، كانت تحضر طبق الكاري المفضل لديها.

قبل أن تصل إلى منزلها توقفت عند سوبر ماركت محلي واشترت كل الحاجيات الضرورية. بعد انتهاءها من حمام دافىء بالزيوت المعطرة، دخلت المطبخ وأغلقت الستائر الحمراء القطنية المخططة، ثم شغلّت الموسيقى. في نهاية يوم العمل عادة، كانت تخصص وقتاً للجلوس مع نفسها لتجلي أفكارها. والأهم الآن أن تتخلص من قلقها عما إذا كان مديرها الجديد قد تعرف إليها وعرف أنها المرأة التي كانت في شقة هنري.

ماذا لو أن هنري قال شيئاً لميتش؟

هزت رأسها بقوة، وحاولت أن تبعد هذا الهاجس عن مخيلتها نهائياً، ورفعت صوت الستيريو..

ثلاثة أيام.

أخذت تتمتم بصوت منخفض وهي تقطع اللحم، والبصل والثوم.. ما هي إلا عشرون دقيقة، حتى فاحت رائحة لحم الغنم الدسمة والكاري، والكزبرة الخضراء الطازجة، ومسحوق الكمون، والحرّ الناعم.

كانت غارقة في عملها حين أثار انتباهها طرقة على الباب.. بسرعة، أخفضت حرارة النار وأخذت منشفة لتمسح يديها وتوجهت إلى الباب.

آخر شخص توقعت أن تجده على باب دارها هو ميتش وينتويرث.. خفق قلبها بسرعة.

شم الهواء باستحسان: «واو.. أشم رائحة طيبة».

تمتمت: «أوه.. مرحباً سيد وينتويرث».

وقاومت لئلا تغلق الباب بوجهه.. لامست يدها شعرها الذي انفردت خصلات ناعمة منه حول وجهها بعد الحمام الدافىء.

قالت: «بماذا أستطيع مساعدتك؟».

سألها: «هل أشم رائحة الكاري على طريقة روهان جوش؟».

اتسعت عيناها: «في الواقع إنها على طريقة مادراس».

بالتأكيد ليس طلبه الطعام؟

ابتسم ميتش: «آه.. أجل. كان يجب أن ألاحظ هذا فهناك رائحة جوز الهند في هذا، بينما الآخر يستخدم اللبن الرائب.. أليس كذلك؟».

ـ وهل تحب الكاري؟

لماذا سألت؟ وترددت قليلاً قبل أن تضيف:

ـ إنه بحاجة إلى أن يغلي قليلاً بعد.

طمأنها ميتش وكأنه يقرأ أفكارها:

ـ لا داعي لكل هذا الإرباك غرايس.. فأنا لن أغزو مائدتك لوقت

طويل.. كما أنني واثق أن هنري اسبينال سيعترض إذا أكلت حصته من العشاء.

ـ هنـ.. هنري؟

ماذا يعرف بالضبط عن هنري؟

ـ لقد كان مصراً أن ألقي نظرة على تصميماته.. وحين قابلته أول مرة ذكرك.. وقال إنكما.. صديقان مقربان.

ابتلعت ريقها بامتعاض: «أوه.. إذن لماذا جئت إلى هنا؟».

ـ هل تمانعين لو دخلت للحظات؟ هناك بضع أشياء أود أن أوضحها الليلة.

توقع ميتش أن تتردد ولكنها لمّا رأته يمسك بالملف الذي يحوي تقريرها أفسحت له المجال.. واشتعل الفضول في عينيها الخضراوين، ليلحق بها إلى غرفة الجلوس الصغيرة التي تعبق برائحة طيبة تفوح من مطبخها.

لم يستطع ميتش إلا أن يلاحظ أنها غرفة جميلة.. مزينة بشكل منسق ومدروس بحيث تضفي عليها جواً من الراحة وكأنها ترحب بضيفها، ولفته صوت موسيقى الغيتار الذي كشف شيئاً من خصوصية غرايس روبنز.

جالت نظرات ميتش ببطء في ذلك المكان الدافىء المريح، حيث وهج الإضاءة الخفيفة يترك أثراً مريحاً في النفس.

الأريكة البنية كانت عميقة وناعمة وغاص ميتش فيها.. أما غرايس فجلست قبالته على مقعد من الخيزران، وتمسكت بالوسادة المخططة بالأسود والبني وكأن خصوصية ما بحياتها.. أثارته طريقة التفافها في المقعد العميق برشاقة القطة.

سأل: «هل صممت ديكور هذا المكان بنفسك؟».

ـ أجل.. فكرت أن مشروع الفيلم سيأخذ وقتاً كافياً لذا نقلت كل ما يلزمني من سيدني.

هز ميتش رأسه: «إنه جذاب جداً.. أرغب حقاً باقتناء منزل أستقر فيه».

اتجهت عيناه إلى اكواريوم السمك الذي كان فيه سمكتان ذهبيتان وسمكة سوداء.

ـ زوجة أخي تحترف فن «لافينغ شدي» الرمزي، وتقول إن وعاء السمك يضفي مناخاً سعيداً وطبيعياً.

التوى فم غرايس وهي تشير إلى السمكات الثلاثة:

ـ لقد قرأت عن هذا.. هؤلاء هم الأخوة ماركس.

ـ دعيني أحزر بنفسي.. الأسود هو «غروشو».

ضحكت: «طبعاً».

ثم ما لبثت أن أعادت توازنها حتى لا تبدو أنها قد اطمأنت كلياً.

ـ بماذا أردت أن تحدثني؟

بدت متوترة تنتظر لحظة خروجه، قبل وصول اسبينال.. كبت ميتش تنهيداته وبدا مستاءً وهو يتصور الرجل الآخر يفترس وجبتها اللذيذة... لا يريد أن يفكر بأي ميزة حسنة لهنري اسبينال، لذا وضع التقرير على ركبتيه وأخذ بضرب بأصابعه على غلافه.

ـ هذا جيد غرايس.. جيد جداً. وعليّ أن أقول أنني تأثرت كثيراً بالسرعة التي عرفت نفسك فيها بمنطقة «نورث كوينزلاند».

برقت عيناها سروراً.. ووجد ميتش تلألؤهما المفاجىء آسراً.

ردّت غرايس: «إنها منطقة مثيرة للاهتمام.. وكما قلت في تقريري، أعتقد بوجود الكثير من الخيارات في المواقع في تلك المناطق النائية».

كانت عيناه تتأملانها بدقة، وأشاح بوجهه بعيداً. لا يمكن ولا يجب أن يكون جسمها عاملاً مساعداً هنا.. مديح مهاراتها العملية، هي الطريقة الوحيدة لكسب غرايس روبنز:

ـ تقريرك مقنع.. لذا أنا هنا الليلة.. أود أن أبدأ بالتحقيق عن بعض هذه المواقع البعيدة على الفور.

ـ على الفور؟

ـ صباح الغد.

هزت رأسها وفكرت قليلاً، وأحس ميتش أن أفكارها تدور وراء هاتين العينين الخضراوين.

سألت: «لا شك أنك فكرت بموقع «أوندارا»»؟

راجع ملاحظاته:

ـ أنفاق الحمم البركانية القديمة؟ أجل. هي تبدو رائعة لمناظر تحت الأرض. وأريد إلقاء نظرة على بعض المناجم القديمة المهجورة كذلك.

ـ مثل مناطق راڤينزوود أو ماونت سوربرايز؟

هز رأسه: «هي بالضبط».

ـ وستستأجر سيارة تنطلق بقوة أربعة إطارات؟

عرف ميتش أنها بدأت تثير حماسته.. الوسادة التي كانت تتمسك بها انزلقت على الأرض دون أن تدرك ذلك.

ـ أعتقد أن هذا سيكون الأفضل.. سأتمكن بعد ذلك من متابعة التجوال، واستكشاف المزيد من المناطق البرية البعيدة.. أريد أن ألقي نظرة على بلاد «الخليج»، هناك الكثير من المناطق البرّية العظيمة هناك.

مالت إلى الأمام، ولون وردي مثير يخضب وجنتيها:

ـ أنا واثقة أنك ستجد ما تبحث عنه في منطقة الخليج.

راود ميتش للحظة قصيرة جداً، شعور رهيب، ففي كلماتها ما يدل على حماسة تنبؤية. رفرف بعينيه وهز رأسه.. قد تكون غرايس ذكية، لكن لا يمكن أن ترى المستقبل. العمل بوقت إضافي متنقلاً على طائرة نفاثة قد ينتج الأحاسيس الأكثر غرابة.

ابتسم لها:

ـ أنت تفهمين ما أبحث عنه، أليس كذلك؟

ـ أعتقد.. هذا.

ربما كان يحدّق بها بشدة إذ ازداد احمرار وجهها، ونظرت بعيداً للحظة.

ـ ينطبق على هذه الصناعة قول: إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب..

والتصوير في موقع عظيم سيعطي فيلمي موقعاً بارزاً أحتاج إليه.

بدا أنها استعادت رباطة جأشها، ومنحت لنفسها الثقة التامة..

ـ كما أفهم.. أنت تبحث عن صورة العالم ما بعد الحرب العالمية الثالثة.. كأنك تريد أن تصوّر أنه ضاع العالم القديم، أو لم يعد له أثر... لذا تريد مكاناً معزولاً.. بدائياً.. كأنه لم تدسه قدم بعد.

قفز ميتش واقفاً: «هذا بالضبط ما أفتش عنه.. عظيم أن تفهمي هذا. ولهذا ستأتين معي».

صدمته نظرة الذعر التي أطاحت بقسمات وجهها، فهو لم يتوقع معارضة من شخص لديه هذا الاهتمام كله بالفيلم.

ـ ستساعدينني بالطبع على تفحص المواقع.

تمتمت بذهول:

ـ أوه.. لا.. لا أستطيع. لا أعتقد أنني أقدر على هذا.

ـ ولِمَ لا؟

أخذت تلوي يديها بعصبية في حجرها:

ـ لدي الكثير من العمل أقوم به.

بدت خائفة جداً.. وأراد ميتش أن يمسكها بكتفيها ويهزها محاولاً إقناعها.. أي نوع من الرجال تظنه؟

ـ أنا رب العمل غرايس.. وأعرف تماماً ما أنت مضطرة لفعله، وأعرف أنك قادرة على إعطاء الكثير من وقتك لهذه الرحلة.

ما الذي أخطأ به لتصبح سلبية فجأة؟ كيف يمكن أن تتراجع عن حماسها بلحظة كأنه انقلب إلى وحش مفترس؟ أخذ ميتش يتمشى في الغرفة فوق البساط اليدوي الصنع الجميل الطراز.. لقد جاء الليلة إليها، وهو مأخوذ بجودة التقرير، متوقعاً أن تقدّم الواجب المهني على بقية مشاغلها.. وهو الآن مستعد أن يكون متمسكاً برأيه قدر المستطاع.

ولن يغادر منزلها قبل أن تقول «نعم».

* * *

ـ غرايس.. أعرض عليك فرصة تبعدك عن روتين المكتب.. أمكنة نائية لدراسة المشروع معي.. فكيف يمكن أن ترفضي؟

ردت بحدة: «أرفض بأن أقول «لا»؟».

وقفت بحدة فقد أثار غيظها أن يعتقد ميتش المتعجرف أنها ستهب متشوقة لتذهب معه.

ـ أدرك أن هذه تجربة جديدة لك سيد وينتويرث.

نظر إليها بذهول، قبل أن يرجع رأسه إلى الوراء ويطلق ضحكة قصيرة.

ـ كان لي حصتي من الرفض آنسة روبنز.. بالتأكيد.

أخذ ينظر إليها نظرة ماكرة وهو يقيس الغرفة بخطواته، وأحست غرايس وكأنها شاهد في محكمة على وشك الاستجواب.

ـ هل ترغبين في التكلم عن العلاقات بين الرجل والمرأة؟ أم نتكلم عن ميدان العمل الواسع؟

لم ترد، لكن حين قابل صمتها بأن قطع المسافة القصيرة بينهما، كتمت أنفاسها.. حرصت بشدة أن تربط على قلبها لتمنعه من تجاوز حده، ولكن رغم ذلك، بدأ جسدها يرتعش عند اقترابه منها.. ولا بد أنه يعرف تأثيره في النساء، ويجب أن يراعي مشاعرها ويبقى بعيداً.

سألها بتشدق وبصوت منخفض وهو يهز بالتقرير في وجهها:

ـ إيه غرايس روبنز هل ترفضين طلبي؟ غرايس التي كتبت هذا التقرير ببراعة لن تتردد أبداً في إلقاء نظرة على هذه المواقع.

فجأة شعرت بالتردد في موقفها.

صمت ميتش قليلاً متفكراً، يفرك ذقنه بيده:

ـ هل يجري شيء أهم من هذا هنا؟ ربما كنت مخطئاً في رمي تلك المجلة مع عملك الفني، والافتراض أننا قد نبدأ من جديد؟ هل تكرهينني لدرجة أن لا تتحملي مثل هذه الرحلة بصحبتي؟

هزت رأسها نفياً، وحاولت إقناع نفسها أنها تملك تبريراً مقنعاً لعدم

ذهابها، ولكنها لم تستطع توضيح سبب اعتراضها. هناك أسباب مهنية جيدة ومتماسكة تستطيع تقديمها إليه عدا الواقع المؤسف أنه جذاب، وأن تفكيرها السليم وعقلها الراجح ينقلبان إلى «غزل بنات» من السكر حين يكون موجوداً! وها هو يتوقع أن تذهب معه! وحدهما فقط!

حتى الآن، كانت على استعداد للتعاون بكل إخلاص مع رئيسها.. لكن الرئيس السابق، جورج هيرتي، كان سيداً مهذباً لائقاً، يحترم مشاعر الآخرين. ولطالما أحست بالأمان والثقة في العمل معه.

كان ميتش يطعنها بنظرته الحادة.

ـ هل هناك فرق لو وعدت هنري اسبينال أن لا أضع إصبعاً عليك طوال مدة الرحلة؟

احمرت وجنتاها: «هنري؟».

لماذا يستمر في ذكر هنري؟

ـ لا دخل لهنري بهذا.. وهو مخطىء إن ظن أننا ما زلنا.. صديقين.

ـ حقاً؟

فكر بردها للحظات طويلة ثم بدا عليه عدم الراحة:

ـ تبدين مذعورة.. ماذا هناك ليخيفك هكذا؟

تقدم نحوها بجرأة كانت واثقة أنه اكتسبها من سنوات عامرة بالخبرة، ومد يده التي استراحت على مؤخرة عنقها. واشتدت حرارة بشرتها تحت يده.. أرادت أن تنسحب بعيداً لكن، وبالسهولة ذاتها التي تجتذب فيها الزهرة الجميلة فراشة طائشة، جذبها ببطء نحوه، وذابت كل أحاسيسها.. وقال: «هل هذا ما أنت خائفة منه غرايس؟».

وخفق قلبها مضطرباً. لا شك أنه سيعانقها!

أحست غرايس في تلك اللحظة أنها لو صرخت، أو حاولت ضربه بقبضتيها لتبعده عنها.. لتركها.. بكل تأكيد، كان يمكن لها أن تطلب منه التوقف.. ولكنها أحست بصعوبة في التنفس.. وتركته يقفل المسافة المتبقية.

ولما عانقها، تنهدت بلطف، ثم أحست به يتراجع قليلاً..

لكنها كانت قد وقعت تحت سحره.

عيناها مغمضتان، ووجهها مدفون في كتفه.. إن مجرد قربه منها كان كافياً ليجعلها تتوسل إليه ألا يتركها.. وحين عاد يعانقها من جديد تمسكت به وكأنها بحاجة أن يدعمها بقوته.

لم يكن هناك شيء من العجرفة أو الحماقة في الطريقة التي كان يمسكها بها.. كانت رحلة استكشاف فاقت كل أحلامها.. وطريقته في ضمها كانت رائعة جداً.. وكأنما كان لذراعيها رأي آخر إذ ارتفعتا بخجل، لتعقدهما حول عنقه.

لم يكن هناك شيء يهدد بالخطر وهي بين ذراعيه.. لم تشعر من قبل أنها أنثى هكذا، مرغوبة هكذا، ثم تراجع ميتش، وحرصت بكل ما أوتيت من قوة وإرادة ألا تبدي رغبتها بالتواصل.

نظر إليها نظرة تفيض بالمشاعر.. وهمس بنعومة «سؤال آخر حصلت على الرد عليه».

تهاوت غرايس إلى الخلف وهي مصدومة ويدها على خدها وكأنها لا تصدق أنها سمحت له أن يعانقها ثم صاحت بصوت حاد:

ـ ماذا تظن أنك تفعل؟ لا تستطيع إغوائي لتحصل على ما تريد؟

رد بسرعة: «بالطبع لا.. لم أستخدم ما حصل كوسيلة إقناع.. كان الأمر.. كيف أصفه..؟ اختبار.. أردت أن أكتشف شيئاً».

أمسكت بشكل لا إرادي وسادة الأريكة ورمته بها:

ـ كيف تجرؤ؟ كيف تجري اختباراً معي؟

التقط ميتش الوسادة ببساطة وخفة ووقف والوسادة بين يديه.

ـ لا أدري غرايس.. هل تستطيعين أن تفسري لي كيف كنا منسجمين ونحن متعانقان؟

تمتمت ببغضب «لا تظن أن عناقاً عابراً سيجعلني أرغب في السفر إلى البراري بمفردي معك».

ـ ماذا لو وعدت بأن لا أفعل هذا مرة أخرى؟

شهقت: «أوه؟».

أبداً؟ أملت أن يكون ردها بمستوى الندم الذي يجتاحها في هذه اللحظة.

رد ميتش:

ـ بشرف الكشافة.

ورفع إصبعيه تحية، ونظر إليها بجرأة ووضوح:

ـ بالطبع سأجد مخرجاً لأفلت من هذا القيد.

ـ مخرجاً؟

ـ سأعانقك إذا أردتني أن أفعل. في المرة القادمة عندما أحتويك بين ذراعي، سيكون ذلك بناءً على رغبتك آنسة روبنز.

هذا جعلها تستعيد وعيها:

ـ سيكون هذا في أحلامك وبتويرث.

ـ أخشى ألا أستطيع ضمان ما يمكن أن يجري في هذه الرحلة.

نظرت إليه غرايس وهي تطوي ذراعيها على صدرها وتتنفس بعمق وهدوء.. حرارة عناقه ما زالت تسري في جسدها.. ولم تكن دقات قلبها تسارع فحسب، بل كانت مشتتة مذعورة.. إن أحداً لا يمكن أن يظن أن شخصاً عانقها.. كيف السبيل لتثبت أنها لم تعانق بمثل هذه الطريقة من قبل؟..

قاطع شرودها ليتكلم بنبرة جادة: «أنا أحتاج إليك حقاً في هذه الرحلة.. أنت تدركين تماماً ما أريد.. ولقد قمت بكل العمل الأساسي، أنت الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يفيدني حقاً.. امنحيني بعض الثقة، وأقسم أنني لست الرئيس الذي يستغل موظفاته.. أريد أن نعمل معاً.. كفريق فعّال ومتضامن».

وبخت نفسها: إنسي أمر العناق.. إنه يعني ما يقول.. لن يحدث هذا مجدداً.

سألت بصوت هادىء: «كم يوماً سنغيب؟».

ابتسم ميتش لها:

ـ كنت أعرف أنك لن تخذليني.

نظر مرة أخرى إلى الملاحظات التي وضعها في نهاية تقريرها.

ـ خمسة أيام قد تكفي لإنجاز العمل.

هزت رأسها بضعف موافقة.

أشارت هزة رأسه وكأنه كان يعرف مسبقاً أنها سترضخ، وهذا ما أزعجها، لكنها أجبرت نفسها بالتركيز على مضمون عملها فقط.

ـ هل نحن بحاجة إلى أية حجوزات؟

رد عليها: «سأقوم بالحجز لليلة الغد في «أوندارا». بعد ذلك أرغب أن أكون مرناً قدر المستطاع. سآخذ معي هاتفي النقال، ونحجز مسبقاً ونحن نتابع السفر».

رفع حاجبيه والتفت بثبات نحو المطبخ:

ـ ذلك الكاري الذي تحضرينه لا بد أنه أصبح جاهزاً. أليس كذلك؟

أشارت إلى الباب:

ـ لا تتفاءل كثيراً سيد وينتويرث. إذا كنت سأقضي الخمسة أيام القادمة مع رئيسي، فسأحتاج إلى ليلة أقضيها بمفردي.

فهي تريد مراجعة حساباتها ومراجعة ما جرى بينها وبين هذا الرجل لتلوم نفسها على ما حدث.

لقد كانت مخاوفها من ميتش في مكانها الصحيح. إنه رجل من النوع الذي يستطيع أن يغوي راهبة ويلهيها عن صلاتها. وها هي الآن ستسافر بمفردها معه!.

أبدى ميتش خيبته لأنه لن يتذوق الكاري. وقال وهو يخرج من باب منزلها:

ـ ستكون المركبة جاهزة في التاسعة صباحاً. وسآخذك من هنا.

لم تكن الدقة في المواعيد إحدى مزايا رب عملها، إذ وصل في الصباح

متأخراً قليلاً. كان يقود سيارة ضخمة تجر خلفها مقطورة منخفضة.

توقعت أن ترى شيئاً أكثر بهرجة وأناقة. ربما سيارة برّاقة بالأسود والذهبي من طراز المدينة، أما هذه فمركبة مخصصة للغابات عادة.

حين فتح ميتش الباب وقفز منها، يرميها بابتسامة طفولية، دهشت للطريقة التي ارتفعت بها معنوياتها. لم تكن تشعر بأنها بخير بسبب الليلة التي قضتها وهي تتقلب في الفراش قلقة بسبب الرحلة الموعودة.

لكن، هذا الصباح، وهو يرتدي الجينز والقميص الأخضر العسكري، كان يبدو مسروراً حقاً، كولد سمح له بأن يقوم بأول رحلة قطاف للتوت الأسود البري، وهذا ما بدّد مخاوفها. حماسته وهو يربت على مقدمة الشاحنة الصغيرة، كانت كافية لتثير ابتهاج من حوله.

ـ لقد تأكدت من حصولي على مركبة تناسب السفر. مجهزة بكل ما يناسب الرحلات البرية. خزان ماء إضافي، وحبال جرّ خاصة، ورافعات في حال علقنا. ومعدات طبخ فيما لو قررنا تحضير بعض الطعام. ولهذا تأخرت قليلاً. لأتأكد من كل اللوازم.

ـ ألم تحضر معك جهاز التموضع العالمي؟

ـ ولماذا أحتاج إليه؟ وماذا تعرفين عن هذا النوع من الأشياء؟

هزت كتفيها: «أوه. لقد قرأت عنه. وبدا لي أنه نظام رائع للتأكد من صحة طريقك، والجيش يستخدمه كثيراً».

ـ أشك أن نحتاج إلى جهاز معقد كهذا لنعرف طريقنا. لدينا خرائط، وهاتف نقال، ومركبة قوية جيدة. لا أنا ولا أنت أغبياء حتى نضيع.

ـ أعتقد هذا.

علامات التجهم التي ظهرت على وجهها خلقت مناخاً من الشك. عندما رفعت حقيبتها الجلدية إلى أحد كتفيها، قال ميتش:

ـ هاك. دعيني آخذها.

وجدت غرايس أنه من غير اللائق ألا تكون ممتنةً، وسمحت له أن يأخذ الحقيبة. وعندما فعلت، قرّب وجهه من وجهها، وتراقصت عيناه

السوداوان اللتان تفرستا في وجهها وقال ممازحاً:

ـ آهاه.. ! أعتقد أنني أرى ابتسامة خفيفة.

تمتمت غرايس: «بل زلة شفتين».

تنهد ميتش وهو يضع الحقيبة في صندوق الشاحنة:

ـ إذن هكذا سيكون الأمر.. أليس كذلك آنسة روبنز؟

وانزلقت نظرته إلى بنطلونها الجينز.

ـ خمسة أيام مع امرأة تغلي من فرط الحقد.

تركت كلماته لديها علامات استفهام، واحترقت وجنتا غرايس. ربما كانت تتصرف عن غير معرفة.. بل مثل طفلة غير ناضجة.

نظرت إليه مبتسمة محاولة تعديل موقفها وقالت: «آسفة.. أنا متعبة قليلاً».

ـ إذن إجلسي إلى الوراء، واسترخي، ودعيني أهتم بقيادة السيارة.. هل ترغبين في حمل اسطوانة تسجيل تلهيك عن عناء السفر.

نظرت إليه بدهشة: «هذه فكرة عظيمة! لن أتأخر».

وكانت على وشك العودة مسرعة إلى المنزل، لكنها توقفت:

ـ هل تفضل شيئاً؟

أسند ميتش جسمه الطويل على الشاحنة الصغيرة وأرسل لها ابتسامة فوقية:

ـ أعتقد أن هناك أملاً كبيراً في أن تكون أذواقنا متشابهة غرايس.. وأنا على استعداد أن أوافق على ما تختارين.

حين قطعا رحلة الستة ساعات في الطريق الضيقة إلى «أوندارا» دون أي توتر أو أي عارض يعرقل مسيرتهما، لم تستطع غرايس تحديد من كان أكثر دهشة، هي أو ميتش.. واستمعا إلى الموسيقى المفضلة لديها، وتحدثا عن فيلم «الغد الجديد»، وعن الناس الذين يعرفونهما في صناعة السينما.. ثم جلسا في صمت مريح والمناظر الريفية تمر بهما بسرعة أمام سماء زرقاء مشرقة وكان هناك لحظات ضحكت فيها حقاً وبصوت مرتفع على القصص

التي قصها عليها عن شخصيات هوليود المبهرجة.

لكن كلما حاولت أن تسترخي، كانت تذكر نفسها بسرعة، أن تكون حذرة من رئيسها.. إنه قادر على أن يجعل السحر يتغلغل في كيانها متى أراد هذا.

من وقت لآخر، كان ميتش يوقف الشاحنة، ليتفرج على منطقة تثير اهتمامه.. لفت اهتمامه مجموعة من النعام الأوسترالي «الإيمو» فأبطأ سيره ونظر إليه عن كثب.

قال: «سأجعلها تقترب منا».

نظرت إليه بريبة:

ـ وماذا ستفعل؟ هل ستقلد نداء التزاوج ما بينها؟

نظر إليها نظرة مذهلة.

ـ راقبي ما سأفعل.. يا فتاة المدينة.

أنزل زجاج نافذته، ومدّ يده ليلوح للنعام بقبعته.. فتوقفت الطيور فجأة وتقدم أحد الطيور الطويلة الساقين إلى الأمام، يريد القبعة.. ثم لحق به الآخرون بحذر، إلى أن اجتمع عدد منها على حافة الطريق العام، تحدق بقوة بميتش وقبعته.

قالت غرايس بنفس متقطع:

ـ هذه حيلة بارعة.. أين تعلمتها.

ـ أوه.. لقد تجولت كثيراً في أعماق الأدغال الكثيفة الأشجار حين كنت يافعاً، لست ابن المدينة المهفهف! انظري!

وأشار إلى طير أيمو كبير يسوق الصغار:

ـ لا يمكن رؤية الأيمو الأم دائماً وهي تقود صغارها.

تمتمت غرايس: «في الواقع، يا فتى المدينة، الذكر هو الذي يرقد على البيض ليفقس، ثم يرعى الصغار».

تمتم بأنفاس متقطعة وهو يعود إلى الطريق العام:

ـ يا للأبله المسكين.. أين تعلمت هذا؟

ردت بخفة: «أوه.. أنا أقرأ كثيراً».

في ذلك اليوم، برزت أمامهما حيوانات أكثر، ففي الحفافي البعيدة القائمة خرج حيوان كنغارو مع كنغر صغير يبطء لإلقاء نظرة حولهما، وكان الوقت متأخراً حين كانت السيارة تهبط وتعلو بهما في آخر قطعة ترابية من الطريق للوصول إلى «أوندارا».

سألت غرايس بقلق:

ـ لقد نظمت أمر إقامتنا.. أليس كذلك؟

ـ بالطبع.. لقد حجزت مكاناً لوجبة طعام الليلة.. ثم لجولة تحت الأرض في الصباح.. سأذهب إلى المكتب هناك وآتي بالمفاتيح.

راقبته غرايس وهو يتوجه برشاقة إلى باحة الاستعلامات..

انتابها شعور عميق مضطرب أن ميتش من الرجال الذين يبدون رائعين أينما حلوا.

عندما عاد إلى الشاحنة، كان متجهماً.. وفتح الباب بحدة وصعد بقامته الطويلة ليجلس وراء المقود متمتماً:

ـ إعاقة بسيطة.

خفق قلب غرايس بسرعة، وهمست:

ـ كيف هذا؟

ـ لا أدري كيف حدث.. لكن كان هناك سوء تفاهم عن مكان إقامتنا.

ـ سوء تفاهم؟ ألم تعرف أن أمكنة الإقامة هنا هي حافلات قطار مجهزة للإقامة؟

ـ بلى.. لكن هذه ليست المشكلة.

حطت عيناه عليها، وارتسمت على شفتيه ابتسامة جانبية:

ـ في الواقع، ليس هناك مشكلة حقيقية.. على الأقل لن يكون هنا مشكلة إذا لم تثيري جواً من الغضب.

انتابت غرايس رجفةً تغلغلت في أنحاء جسدها، وبدت حذرة.

ـ نوبة غضب؟

حاولت أن تتحلى برباطة جأش لتحافظ على هدوئها.

ـ أنا لم أثر غضباً وتوتراً منذ كنت في الثانية من عمري.. حباً بالله.. عم تتكلم؟

أدخل المفتاح في قفل المحرك، ثم شغله وقال لها:

ـ حجز السواح كل الأمكنة في الباصات، ولم يبق سوى جناح واحد لنا.. صدقاً.. لا أدري بعد كيف سنكون معاً في جناحٍ واحد.

نظرت غرايس إليه بارتياب:

ـ أنت.. تعني.. أن علينا المشاركة في..

ـ غرفة واحدة.

ـ بسريرين؟

ـ أخشى أنه سرير مزدوج.

صاحت: «هذا غير ممكن؟».

مسحت بيدين مرتجفتين على شعرها.. الشعور بالأمن الذي شعرت به طوال مسيرهما زال ليحل مكانه خوف جديد.. وأكملت تصيح:

ـ هذا أمر سخيف!

ـ نحن لسنا في المدينة الآن غرايس.. في هذه المناطق النائية تدبرين أمرك بما هو متوفر لك.

وجّه الشاحنة إلى حافلات القطار البعيدة قليلاً المدهونة بالبني، المصطفة تحت ظل أشجار الصمغ.. وأكمل:

ـ وأخبرك إن كنت تجهلين ذلك أن الفراش للنوم وليس لأشياء أخرى.. وقد نضع حاجزاً بيننا من الوسائد.

شدت غرايس على أسنانها فنظر إليها ميتش بطرف عينه:

ـ عرفت أنك لن تتلقي هذا الخبر بهدوء، اسمعي! المسافة بعيدة لأي مكان آخر، وعلينا العودة إلى هنا مجدداً في الصباح.. وهناك مخاطر كثيرة في المناطق النائية.. لكنني سأقبل، إذا قبلت أنت.

صاحت: «بالطبع ستقبل!».

توقف ميتش في مكانٍ مخصص، تحده أشجار الدغل القاسية، ثم أوقف المحرك واستدار إليها:

ـ وماذا يفترض أنك تعنين من كلامك؟

ـ لن يضيرك شيء لو قضيت ليلة أخرى في الفراش مع امرأة لا تعرفها، فهذه.. هوايتك!

وراحت تلوح بيديها وهي تتكلم بانفعال.

أمسك ميتش أقرب يد إليه بقوة:

ـ إذا كنا سنتكلم عن الهوايات آنسة روبنز، فلربما يجب أن أذكرك أنني كنت شاهد عيان على وجودك في شقة رجل ترتدين ثوباً يظهر مفاتنك كلها.. ليس من العادة أن تستقبل أية فتاة الرجال عند الباب الأمامي..

أوه.. لا! فغرت غرايس فاها وهي تنظر إلى ميتش.. كان يعرف طوال هذه الفترة!

نظر ميتش إليها بريبة لثوانٍ، واشتدت قبضته على يدها.

ـ لذا، يمكنك الآن التوقف عن التصرف كفتاة طاهرة محافظة، وكوني فتاة ناضجة ومنفتحة في هذا. حباً بالله.. لقد وعدتك بألا ألمسك.

ترك يدها وفتح بابه: «إذا رغبت في دخول الحمام أولاً، إنه في الحافلة الأخيرة، والآن من الأفضل أن تنزلي».

ترجلت غرايس من الشاحنة غاضبة متشنجة.. لم تستطع أن تحدد مصدر غضبها الأساسي: كشفه عن رؤيته إياها في شقة هنري، أم الادعاء بأنها تتصرف كفتاة صغيرة سخيفة، أم أنه ليس مهتماً لا من قريب أو من بعيد بها.. كامرأة.

تماسكي يا فتاة! وبخت نفسها وهي تلحق به إلى الحافلة. في لحظة، أنت خائفة من أن يلمسك هذا الرجل.. وفي التالية تنزعجين لأنه وعد أن لا يفعل.

إنها تضخم الأمور، فامتناع ميتش عن ذكر أمر وجودها في شقة رجل

عازب دليل على أنه لا يهتم بحياتها الخاصة.

من المهم أن تتذكر، وهي التي لا تستطيع أن تمنع نفسها عن التفكير بذلك العناق، أن هناك فرصة أن يعتبرها ميتش وينتويرث مجرد موظفة كفؤة. وهذا على أي حال ما تريده.

تلك الصحبة الهادئة التي تمتعا بها طوال اليوم أصبحت وقت العشاء توتراً.. هاجس الليل الطويل يلوح فوق رأس غرايس وكانت تشعر باضطراب سخيف.

المكان المخصص للعشاء في «أوندارا لودج» كان عبارة عن سطح خشبي واسع تحميه من عوامل الطبيعة مظلات من القماش الضخمة في هذا الوقت.

أخذت غرايس تتلاعب بطعامها المكون من لحم دجاج منقوع بالخل، وبذور القصب، وفلفل الجبال الحار.. أما ميتش فكان يتناول نقانق «جورجتاون» الحارة ويتحدث عن العوامل الرئيسية التي يجب أن يركزا عليها حين يدخلان أنفاق الحمم الباردة في الصباح.. لكن غرايس كانت تعرف أنه يضحك من حرجها، وعذابها الداخلي.

كان يبدو بارداً عملياً ولكنها عرفت أنه يضحك في داخله.. فالبريق اللعوب في عينيه كان يفضحه.

سأل: «أفترض أنك تعرفين تماماً التشكيل الجيولوجي لهذه الأنفاق!».

مسحت غرايس شفتيها بمنديل الطعام وردت بتهذيب وهدوء قدر ما استطاعت:

ـ في الواقع أجل.. أعرف.

ـ هل يمكنك قولها لي بلغة يفهمها رجل سينما بسيط؟

رشفت من شرابها رشفة، وأعطته ما أملت أن تكون نظرة باردة بما يكفي لتجمّد الابتسام على وجهه.

ـ منذ مئة وتسعين ألف سنة، تفجرت البراكين في هذه المنطقة، وجرت أنهاراً ضخمة من الحمم الملتهبة... وهي تتدفق كانت تبرد من الخارج بسرعة أكبر، وتبدأ بالتصلب.. لكن الحمم الساخنة من الداخل بقيت

تتدفق، وتحفر نفقاً مجوفاً.. الأنفاق هنا هي الأفضل والأكثر تأثيراً في العالم.

ـ شكراً لك غرايس.

نظرت غرايس إلى طبقها بصمت يخبىء وراءه غضباً دفيناً.. كانت متأكدة أنه كان يتلاعب بها كما تلاعب القطة الفأرة.

كيف بحق الله.. وصلت إلى هذا؟ فلم تكن ترغب أن تكون مع هذا الرجل المتعجرف في مكتب واحد.. وها هي الآن تشاركه.. الغرفة!

حتى أنهى ميتش أول طبق من عشائه، كانت غرايس كتلة نارية تغلي غضباً.. قالت وهي تضع سكينها وشوكتها جانب طبقها الذي لم تكمل نصفه حتى:

ـ لست جائعة.. ولا أريد الحلوى أو القهوة.. لكن، أرجوك ابق أنت، وتناول ما تشاء.

وقف ميتش بأدب وهي تترك طاولة العشاء.. وقال بلهجة هادئة:

ـ تأكدي من التخفي جيداً بالأغطية وتأكدي من أنك قد نمت قبل أن أعود.

وتراقصت عيناه بطريقة ظاهرة.

تصلبت كتفا غرايس، وقالت بحدة:

ـ أنت كريه جداً.

في الممر عندما وصلت إلى حافلتهما دخلت وأطبقت الباب وراءها بعنف، وأسندت ظهرها إليه مرتجفة.. إنه كريه! كيف لجورج هيرقي المسكين أن يستكين لواقعه وهو يعرف أن هذا الولد المتسلط يهدم الشركة؟..

ارتدت البيجاما بغضب.. وحمداً لله أن لديها واحدة ذات ياقة مرتفعة، طويلة الأكمام والساقين. ومن المؤسف أنها وردية اللون منقطة بقلوب بيضاء صغيرة، لكنها على الأقل، تسترها جيداً. دست القسم العلوي في البنطلون وشدت الرباط على خصرها بشدة قبل أن تربطه بعقدة مزدوجة.

ثم أزالت الماكياج، ونظفت أسنانها. وفيما كانت تهمّ بمغادرة الحمام،

توقفت.. لتتأمل ملامحها التي انعكست أمامها في المرآة.. كم تبدو مشتتة الفكر ومتوترة. تفحصت أسنانها، ثم عادت فنظفتها مرة أخرى، ووضعت قليلاً من العطر خلف أذنيها.. نظرت إلى نفسها في المرآة بخوف.. لماذا بحق الله تريد أن تكون رائحتها حلوة؟

رفعت الغطاء عن الفراش لتندس تحته مرتجفة مرتبكة.. ثم استدارت إلى جانبها وأطفأت المصباح.. في الظلام، استلقت بتشنج والمفرش عالٍ حتى ذقنها، وانتظرت وقع أقدام ميتش وهو يعود.

غرقت في تفكير لم تستطع إيقافه حول طبيعة هذه الليلة اللعينة التي تنتظرها.. كيف ستكون، كيف ستستلقي جنباً إلى جنب مع ميتش؟ هل سيلتزم بنصف الفراش؟.

في الظلام وهي مستلقية على فراشها في الغرفة المظلمة، تصغي إلى طرق المروحة فوق رأسها، أخذت مخيلتها الخائنة تصوّر لها احتمالات عديدة، أرادت الصراخ من شدة توتر أعصابها وتشنجها.. كيف يمكن لهذا العقل الذي خدمها بطريقة مبرمجة رائعة في جمع المعلومات واستيعاب الوقائع أن ينقلب رأساً على عقب حين تفكر في ميتش وينتوبرث؟

إن كل شيء فيه، طلعته الجميلة، حضوره القوي، اغتراره بنفسه، يجعلها حذرة.. ميتش يشبه روجر.. هذا النوع من الرجال الذين يأكلون الشابات على الفطور، قبل التوجه إلى بناء امبراطوريتهم.

ألا يوجد رجال شرفاء في هذا العالم؟ لقد حطم روجر قلبها.. وأغضبها هنري.. وميتش؟

ميتش ليس عاملاً مهماً في هذا السؤال.. إنه رب عملها، وليس صديقها.

لكن أية اضطرابات عانتها غرايس حين دخلت الفراش، تضاعفت مئات المرات في الساعة التالية، فبدلاً من سماع وقع خطوات تعود إلى الحجرة، لم تسمع سوى أصوات الضحك السعيدة القادمة من الساهرين في باحة الطعام. أما في الخارج فكل شيء كان هادئاً جداً حتى أن تلك الأصوات

بدت مرتفعة أكثر من اللازم.. وعندما انتصف الليل أخذت الأصوات تزداد وضوحاً..

لا شك أن ميتش نسي أمرها ويشارك الساهرين في مرحهم. المؤسف أنها كلما حاولت بقوة أكثر أن تنام، كلما جافاها النوم.

حين سمعت أنغام «فالس ماتيلدا» ترتفع غناء بمزيج من الألمانية والهولندية والإنكليزية، أخذت غرايس وسادة أخرى وضعتها فوق رأسها لتتجنب سماع أي صوت يزعجها، وتمنت لو أن كل واحد منهم يصاب بصداع كبير في الصباح.

أخيراً، وبعد انتظار طويل طال حتى اليأس تفرقت الأصوات وسمعت الناس يتحركون نحو مقطوراتهم.. أخيراً اندفع بابها لينفتح.. وتجمدت غرايس فجأةً وهي مضطربة تسمع ميتش يدور في المكان المظلم، وسمعت وقع حذائه على الأرض..

* * *

٤ ـ فوق الهاوية

حبست غرايس أنفاسها.

ظل صوت وقع الأقدام على الأرض مسموعاً ثم ساد بعض الصمت الذي ما لبث أن تحول إلى سكونٍ عميق.

ازداد توترها وكأن قنبلة مؤقتة على وشك أن تنفجر.. وبقيت مستلقية في السرير محاولة بيأس أن تفهم سبب الصمت. أين ذهب ميتش بحق الله؟ وبدأت الأفكار السيئة تدور في ذهنها. هل تسلل إلى فراش آخر.: حالة الغموض كانت أكثر من أن تتحملها.. وأضاءت المصباح قرب السرير.

ظهر ميتش جالساً على الأرض في الجانب البعيد من الغرفة.. كان يرفرف بعينيه:

ـ ماذا يجري؟

بدا أشعث متعباً، وأخذت تحدق في الشعر المنسدل على عينيه، وفي عرض منكبيه.

تمتمت متلعثمة: «أنا.. أنا لم أكن.. أعرف أين أنت.. ماذا تفعل على الأرض؟».

ـ أحاول أن أنام.

ـ لكن.. لماذا نمت.. هناك؟

فرك عينيه وقد سيطر عليه النعس، ثم رفرفهما مرة أخرى قبل أن ينظر إليها مجدداً.. غاصت في الوسائد وقلبها يرقص تحت وطأة نظراته المثيرة.. هكذا نظر إليها ليلة أمس.. قبل أن يعانقها.

www.elromancia.com

ثم أطلق ضحكة صامتة في جو من التجهم:

ـ لا بأس غرايس.. لقد تكلّمت مع الإدارة، وشرحت لهم مشكلتنا الصغيرة.. وكانوا متفهمين جداً.. وأعاروني فراشاً. لذا أنا بخير.. سأنام هنا الليلة.

عندما عاد ليستلقي على الأرض، أطفأت المصباح، وشعرت بغليان يسري في أنحاء كيانها.. هذا أمر سخيف جداً! إنه يعالج هذا الموقف المربك كسيد مهذب، ويجب أن تكون ممتنة.. وبالطبع هي ممتنة!

لماذا هي غير ممتنة؟

سمعت صوته يصلها في الظلام: «من المؤسف أنك كنت متعبة.. لقد فاتتك حفلة رائعة».

بطريقة ما استطاعت أن تضغط على موجة الغضب في داخلها فتمتمت:

ـ ليلة سعيدة.

مرة أخرى، جاء صوته عميقاً.

ـ اللون الوردي رائع عليك.. لكنه ليس كذاك الثوب الأسود الرائع.

بعد هذا، أمضت غرايس ليلة طويلة مملة تتقلب وتتلوى، وهي تصغي إلى أنفاسه المنتظمة المرتاحة.

فاجأت الأنفاق البركانية في «أوندارا» ميتش.. كان يتوقع أن تكون مثيرة للاهتمام، لكنه لم يتوقع أبداً أن تكون بهذه العظمة.

قال لغرايس وهما يلحقان بالسياح على ممر خشبي في أول نفق كبير:

ـ لا أكون مبالغاً إن قلت إن جماله يفوق ما يتصوّره عقل!.

وأكمل بحماس: «لا يمكن أن يكون هناك أفضل لما نريد! المناظر التي ستصوّر مع الناجين تحت الأرض، هي مناظر هامة في الفيلم.. هذا ممتاز!.. وأنت ممتازة».

وربت كتف غرايس.

أجفلتها لمسته فنظرت إليه بعينين خضراوين مجفلتين:

ـ أرجو عفوك؟

ـ لقد أظهرت عبقرية فريدة من نوعها باقتراحك تفحص هذه الأنفاق.

بدأ الفرح يرقص في عينيها لهذا المديح.

ـ لقد أدركت أنها رائعة حين قرأت أن بالإمكان إدخال قطارين على خطين إلى هنا.

انتبه ميتش أنه ما زال يضع يده على كتفها.. كانت ترتدي بلوزة مرتفعة الياقة لا أكمام لها. كان يلمس بأصابعه بشرة ناعمة حريرية، ودفعته رغبة ملحة للضغط على كتفها بقوة.

إنه ليس تصرفاً حكيماً وينتويرث.. ومن الأفضل أن يغيّر وجهة تفكيره قبل أن يفعل شيئاً يندم عليه.

لكن وهما يتابعان السير في القسم الضيق من النفق الصخري شعر ميتش بانجذاب لعطر غرايس الذي ملأ المكان وشغله عن الانتباه لجمال المناظر الخلابة.. كان العطر منعشاً برائحة الزهور، تهب رائحته بخفة كطيف النسيم، لم يكن هناك شيء صناعي في تلك الرائحة، التي ذكرته برائحة صباح يوم خريفي، بشمس لطيفة، وأريج الليمون النظيف الحاد.

ـ ماذا تفعل؟

شتت صوت غرايس الحاد في أذنه عليه أفكاره، ماذا يفعل؟ كيف تسللت ذراعه دون وعي منه حول كتفيها؟

وأنزلها على الفور، ليرد: «لقد انجرفت بروعة هذا البهاء الطبيعي».

ثم لفت اهتمامه الصخور البدائية حولهما، بدلاً من رقة كتفيها وجمالها..

ـ ألا يقول العلماء النفسانيون إن المغارة تمثل لنا الرحم؟ لهذا السبب أتصوّر نفسي كأني عدت جنيناً في رحم أمي.

فتحت غرايس فمها لتعلق بشيء، لكنها فضلت أن تبقى صامتة.

قال ممازحاً: «وماذا عنك.. هل ينتابك أي شعور بالعودة إلى الذات؟».

ـ أنا.. لا أشعر بشيء مميز.

أخذ ميتش يفكر بطريقة مسيرها.. إنها تضع مسافة بينهما.. هذه المرأة المحيرة بدأت تؤثر فيه. ليس هناك الكثير مما يعجبه فيها.. مع ذلك، كانت دوماً منتصبة أمامه.. دائماً مشدودة الأعصاب.. وكأنها تتوقع في أية لحظة أن ينقض عليها.

من يرى منها هذا، سيعتقد أنها عاشت حياتها مسجونة في برج معزول.

لكن، لا يمكن أن تكون هذه هي الحالة. لقد شاهدها في المرة الماضية في بيت رجل أعزب. ليلة أول أمس، حين عانقها، كانت سعادتها تقطع الأنفاس دون أية قيود.. ولقد ذهل تماماً بتجاوبها السريع، وبالحرارة التي انبثقت منها، وكأنها عادت إلى الحياة بين ذراعيه.. إنها فكرة خيالية.. للحظات جعلته يشعر وكأنه الأمير الذي عانق «الجمال النائم» وأيقظها بعد نوم مئة سنة.

كان الوقت منتصف بعد الظهر حين أنهيا مقابلتهما مع إدارة الأنفاق في أوندارا.

ما إن تركا المكان، حتى أبلغها ميتش عن عزمه على التوجه شمال غرب المنطقة لاستكشاف ما دعاه ببلاد الخليج الحقيقية.

ـ لست واثقاً بالضبط مما أريد.. لكنني أفتش عن شيء مميز.. وسأعرف ما هو حين أراه.

بطريقة ما كانت ممتنة لأنها تجلس مستندة إلى الوراء، تاركة ميتش يقود بها الأميال في فترة بعد الظهر. لم يتبادلا الأحاديث.. فقد أمضت ليلتين تتقلب دون نوم ولقد أصبحت الآن متعبة جداً، وأخذتها الغفوة على أنغام الموسيقى الناعمة والهادئة، والشاحنة مسرعة في خط مستقيم مباشر إلى جورجتاون..

لحسن الحظ، بدا على ميتش أنه يفكر.. أما هي فاتخذت لنفسها وسادة من سترتها الجلدية وأسندتها إلى النافذة ثم رفعت ساقيها قدر ما استطاعت وأراحت رأسها إلى الوسادة، وما هي إلا لحظات حتى كانت تغط في نوم عميق.

اصطدمت جبهتها بالنافذة فاستيقظت.

كان قد حلّ الظلام.. وحاولت غرايس أن تستعيد وعيها.. ودهشت عندما رأت أن الشاحنة تشق طريقاً وعرة في الظلام وبسرعة.

رددت بصوت منخفض وهي تحاول أن تستكشف ملامح الطريق البرية على ضوء إشارات الشاحنة:

ـ أين نحن؟ أين هي الطريق؟

ضحك ميتش: «مساء الخير.. أخيراً استيقظت».

كانت على وشك أن تسأل كم الساعة.. لكن الساعة على الشاشة الصغيرة أمامها كانت تشير إلى الثامنة:

ـ يا رباه! لقد نمت ثلاث ساعات.

ودست ذراعيها في سترتها الجلدية.. فقد انخفضت درجة الحرارة بشكل دراماتيكي.

ـ كنت تشخرين طوال الوقت.

أجابت بتذمر: «أنا لا أشخر!».

سأل متحمساً: «ومن قال لك هذا؟».

ـ أيها..

وشدت على أسنانها.. لم يمض على استيقاظها أكثر من نصف دقيقة، وهاهو رئيسها يزعجها بمزاحه.. «لا أحد تذمر من شخيري قبل الآن».

حتى في داخل المركبة المظلم، رأت حاجبيه يرتفعان ونظراته الجانبية تخرق باستنتاجات شتى.

رفضت غرايس أن تقابل نظرته، والتفتت نحو النافذة إلى جانبها، وقالت:

ـ لم ترد على سؤالي.. أين نحن؟ وماذا حصل للطريق؟

ـ ما زالت الطريق حيث هي دائماً.. لكننا لا نسير عليها الآن.

هذا يستحق تفسيراً. ارتدّت لتواجهه مرة أخرى:

ـ لكن، لماذا بحق الله.. هل مررنا بجورجتاون؟

أدار ميتش المقود بحدة ليتجنب صخرة لاحت أمامه فجأة في الطريق.. وبالرغم من حزام الأمان، ارتمت على الباب.

تمتم، بعدما أصبحا بعيداً عن الصخرة.

- آسف لهذا.. لأرد على سؤالك، لقد مررنا بجورجتاون منذ ساعة.. لكنني مررت بلوحة تعلن عن موقع منجم قديم.. واعتقدت أنه يستحق إلقاء نظرة. هكذا غيّرت طريقي، وانطلقت كالأعمى بين الشجيرات الشائكة، في ظلمة الليل.

- وهل تعرف أين نحن الآن؟ الظلام شديد، وستكون محظوظاً لو رأيت حيوان كانغر وهو يقفز أمامك. أنا لا أتصور أنني مضطرة أن أبيت الليل هنا.

- أعرف أين نحن.. وها أنا ذا قد عدت أدراجي، وسنصل الإسفلت في أية لحظة من الآن.. أعد أن تكوني في «كرويدون» في آخر وقت العشاء.

ارتجفت غرايس داخل سترتها الجلدية.. ولم تكن تشعر بالبرد.. لكن الأراضي المتجهمة المهجورة، والعالم الأسود الذي يرقد ما وراء الأنوار الأمامية بدا مشؤوماً.

- يبدو أن هذا الدرب غير مستخدم كثيراً.. أنا آسفة لتكرار أسئلتي عن هذا الأمر، لكن كيف تعرف أننا نسير في الاتجاه الصحيح؟

سحب ميتش نفساً عميقاً ملؤه الامتعاض، ونظر إليها:

- سأصرخ عالياً امرأة.. هل ستسأليني عن كل حركة أقوم بها؟ كنت أسير في درب معروف.. لكن التبس عليّ الأمر الآن.. هل يعجبك هذا؟ لكن هناك إشارات كثيرة هنا لألحق بها.. وسنكون بخير.. أعطني نصف ساعة أخرى، وإذا لم نهتدي طريقنا حتى تلك اللحظة نفكر بوضعنا.

أطبقت شفتيها. ففي مثل هذا الموقف، ليس من المناسب مضايقة ميتش أكثر. هكذا جلست مستقيمة صامتة، تتمسك بقضيب الأمان إلى جانبها، كانت الطريق وعرة جداً، وكانت ترى أن ميتش يقود بسرعة. وبدت كثبان الرمال والصخور تلوح فجأة في الظلام واضطر إلى المناورة كثيراً

لتجنب خطر ما.

فجأة التقطت أنوار السيارة شيء يلمع أمامهم، أشكال سوداء غريبة تندفع بسرعة، لتصبح فجأة قريبة منهم.. صاحت: «احذر!».

وداس ميتش على الكوابح بكل قوته.. وقال مبهوراً:

- إنه قطيع غزلان برية.

عندما مرت بهم هذه الحيوانات، أجفلها ضوء الشاحنة، فقفزت مبتعدة وغابت في الظلام الأسود.. نظرت غرايس إلى ميتش، فأسرع يبتسم:

- ما رأيك بكل هذا آنسة روبنز؟ مثير.. أليس كذلك؟

ردت بحدة: «أعتقد من الأفضل لي أن أبتعد عن مثل هذه الإثارة».

مد يده يعبث بشعرها.. وقال بصوت لطيف:

- لسنا عرضة لأي خطر غرايس.. معنا مركبة قوية، ولدينا ما يكفي من الماء، والملابس الدافئة، وإذا اعترضنا ما هو أسوأ من ذلك ولم نستطع العودة إلى الطريق العام.. يمكننا أن نتوقف في أي مكان.. وستنامين أنت هنا في المقصورة وأنام أنا في المؤخرة.

مال إليها وبدا وكأنه سيعانقها. لكنه في آخر لحظة غير رأيه، واستقام مجدداً:

- تفاءلي.. وضعي اسطوانة أخرى ودعينا نستمتع بالموسيقى.

اندفعت الشاحنة إلى الأمام، ولأن غرايس لم تكن تفكر باقتراح أفضل، وضعت اسطوانة في الجهاز.. في الظلام الدامس لم يكن لديها فكرة عما اختارت، لكن، بعد لحظات بدأ صوتا سايمون وغارمزنكل الناعمان بغناء ألحان مألوفة من الستينات.

لم يمض وقت طويل حتى أحست أنها أفضل حالاً. ميتش مصيب.. بعد ليلة أمس، أصبحت تعرف أنها ليست مضطرة لمقاومته.. وهذه مغامرة. وإذا اضطرا فعلاً بإمكانهما أن يخيما هنا لليلة واحدة.. ليس حولهما أحد وسيكونان بأمان.. وليس هذا موسم مطر، ولا خطر من

الغرق أو الطوفان.

أقفلت سحاب سترتها، ودست يديها في جيبي بنطلونها القصير، وتمنت لو كانت ترتدي جينزاً طويلاً، فلو اضطرت إلى النوم هنا، فستحتاج إلى ما يبعث الدفء.

وفيما كانت المركبة تشق طريقها في الدغل المظلم، بدأ الاطمئنان بالتسلل إلى قلبها. قد يكون ميتش متهوراً، لكنه سائق ماهر، فها يداه القويتان تمسكان بالمقود بثقة وها هو يغيّر السرعات بسهولة من يمتهن قيادة سيارات السباق.

حتى الآن..

إذ فجأة شاهدا على ضوء الأنوار الأمامية، شقاً واسعاً متآكلاً في الطريق.

أخذ ميتش يتذمر..

ما من مجال أمامه ليتوقف.. القناة قريبة جداً وأي كبح فجائي للشاحنة سيرسلها إلى هوة عميقة. داس على دواسة السرعة ليطلق العنان للمحرك.. كان يعرف أن الأمل الوحيد هو أن يقفز بالشاحنة فوق الهوة.. شدّ أسنانه وانطلق إلى الأمام.. ولكن حين غادرت الإطارات الأمامية الأرض خفق قلبه بقوة وكأنه طار من مكانه.

ظن أنه نجح.. لكن الإطارات الخلفية غارت فجأة ثم ارتطمت بالأخدود.. ثم توقفت السيارة فجأة بعدما اصطدمت بشيء، وملأت أصوات تحطم المعدات أذنيه.. واندفع جسمه إلى الأمام، ثم انفجر كيس الأمان الهوائي في وجهه.

أخذ يسب مجدداً، والتفت إلى غرايس التي صرخت بدورها وهي تنزع حزام الأمان.

ـ هل أنت بخير؟

ـ أعتقد هذا.

سمع صوت بابها ينفتح، وضربات قدميها في الأرض، ثم نادت:

ـ سأحاول رؤية ما حدث.

تجهم ميتش.. وضرب الكيس الهوائي بغضب. كان يعرف ماذا حدث.. كيف يمكن له أن يدفع بالشاحنة لتخرج من هذا الأخدود الشديد الانحدار؟ كان المحرك قد توقف، فمد يده إلى المفتاح وأداره.

ـ توقف!

الضربة الصاخبة جاءت من داخل الظلام الدامس.

ـ انتظر ميتش.. أعتقد أن هناك إطاراً خلفياً قد خرج عن محوره..

وأشم رائحة الوقود.

انفعاله والإحباط الذي أحاط به دفعه ليصرخ عالياً:

ـ تراجعي إلى الخلف.. أنا مضطر أن أحاول ولو مرة واحدة.

ـ لا ميتش.. لا!

تجاهل نداءها وأدار مفتاح التشغيل مرة أخرى. كان المحرك على وشك أن يعمل.. ثم حدث كل شيء بسرعة.

شرارات نار انطلقت من أمامه، ثم شم رائحة الدخان، ثم انفجار مضغوط.

سمع غرايس من بعيد تصيح مذعورة:

ـ ميتش! أخرج!

ودون تردد فتح بابه ورمى بنفسه جانباً.. ثم سمع انفجاراً مدوياً، وسرعان ما التهمت ألسنة النار الملتهبة الشاحنة.. وتدحرج ميتش فوق الأرض الصخرية في الوقت المناسب لينجو بذلك بنفسه.

ظل من فرط الصدمة مستلقياً فوق الطريق الترابية بضع لحظات مذهولاً، مرعوباً لكنه سرعان ما استعاد وعيه وأخذ يصيح:

ـ غرايس؟

أين هي؟ انتفض قائماً غير مبالٍ بالجروح والخدوش التي أصابت جسده.. كل ما كان يراه، ألسنة نار تتصاعد.. برتقالية، قرمزية، وحمراء كالدم، تتصاعد ثم تختفي في غمامة سوداء كريهة الرائحة.

صاح مجدداً: «غرايس؟».

ثم جاء الرد الخافت: «أنا بخير.. أنا هنا في الخلف».

بعدما شعر بالاطمئنان التفت للنار المشتعلة إلى جانبه.. وقرر بسرعة إنقاذ الشاحنة الوسيلة الوحيدة لتنقلهما من ذلك المكان.

وبكل ما أوتي من قوة أخذ يحفر ويتناول التراب ثم يرميه نحو النار، وحاول مرات عدة رافضاً الواقع فحتى ولو كان معه رفش وجبل من تراب.. لما استطاع إطفاء النار.

نادت غرايس: «ميتش!».

مشى بتثاقل إلى ناحية الصوت، وكاد يتعثر بها حيث كانت راقدة وراء صخرة.. وركع بسرعة أمامها: «هل أنت بخير؟».

ردت بصوت خفيف: «أجل.. وأنت؟».

ـ أنا بخير.. لكنني غاضب من نفسي.

بدا عليه الغضب إذ لم يجد كلمة يصف بها ما يخالجه فقد خاطر بها وبنفسه. حين ذكرت غرايس رائحة الوقود، كان يجب أن يعرف أنها تعني أن خزان الوقود مثقوب.. وها هما الآن مقطوعان لا طعام ولا ماء ولا أي وسيلة من وسائل الاتصال.

وسط مكان مجهول.

لقد وضع قناع الشجاعة أمام غرايس، إنما في الواقع لم يكن لديه فكرة أين هما.. وضع رأسه بين يديه وتأوه بصوت مرتفع.

ربتت كتفه بيدها:

ـ لقد تمكنت من إخراج حقيبة حاجياتي من الشاحنة.

ومدت الحقيبة القماشية أمامه ليراها.

فتنهد: «أنت رائعة غرايس.. أنت كنت المتعقلة الوحيدة».

تأوه مرة أخرى.. وضرب قبضته في كفه وهو ينظر إلى الكتلة البرتقالية التي تلف الشاحنة.

مرة أخرى أحس بيد غرايس الباردة على معصمه وقالت بلطف:

ـ ما حدث حدث ميتش.. لا شيء نستطيع أن نفعله.. يجب أن نبقى هادئين لنفكر بحل لوضعنا.

أغمض ميتش عينيه، وشد على أسنانه. كل ما جرى هو غلطته.. ولقد أدهشه أن غرايس تتقبل كل شيء بهدوء، وهي تعرف أن لا ملاذ لهما.. فأي نوع من أصحاب العمل هو؟

تمتم: «أنا آسف».

لم ترد، فقد صدر عن الشاحنة انفجار آخر، وازدادت النيران اشتعالاً.. قال ميتش:

ـ دعينا نبتعد من هنا.

ومد يده ليساعد غرايس على الوقوف.

استلقيا على صخرتين مسطحتين ووضعت غرايس حقيبتها القماشية الصغيرة إلى جانبها، وفتحتها لتتفقد أغراضها قائلةً:

ـ سأرى ما بقي لنا من حاجيات.

ثم التفتت إليه:

ـ ليس الأمر سيئاً، لدينا قليل من الماء، وهذا مهم جداً.. لوحا شوكولا، تفاحتان و.. خريطة وعيدان ثقاب!.

ـ أما أنا فلم أفكر حتى باختطاف الهاتف النقال.. لقد قلت لك هذا الصباح إنك عظيمة.

أكملت غرايس تتجاهل مديحه:

ـ ليس هناك الكثير بعد.

وسمعها تضحك:

ـ وهذا شيء صغير حقاً.. لدي هنا بنطلون نوم قصير.

ـ حقاً؟

بالرغم من كل ما حدث.. ومع شعورٍ عميق بالذنب، أحس بإثارة شاذة.

ـ ما لونه؟

ولسبب غير وجيه، ضحكت غرايس وأرخى ميتش كتفيه معبراً عن ارتياحه لابتهاجها. . قد تكون هذه الفتاة متزمتة متوترة في المكتب. . لكن حين يصل الأمر إلى المأزق الحقيقي، فلديها الشجاعة الكافية.

ارتسمت على شفتيهما ابتسامة خفيفة. . بعد ذلك جلسا معاً في الظلام مع ألسنة النار المتأرجحة المتصاعدة من المركبة، النار التي أنارت الدغل من حولهما.

ـ أعتقد أنه يجب الاستفادة من هذا قدر الإمكان، فهذا على الأقل يوفر عيدان الثقاب. . ولأن لدينا الآن حفل الشواء لهذه المركبة، سنستفيد منه لتشعل بعض الحطب. . سيصبح الجو بارداً الليلة. . كما أتصور. لكن من الأفضل أن نبقى هنا حتى الصباح، ثم نرى ما حولنا.

بنى النار في مكان بعيد قليلاً عن المركبة المحترقة، وفي حمى صخور ناتئة. . حين انتهى، جاءت غرايس لتجلس إلى جانبه وتشاركا لوح الشوكولا، وتناولا جرعتين من الماء. . ثم جلسا يحدقان في النار. . حولهما. . كان الدغل في سكونٍ عميق يخترقه صوت طقطقة الخشب وهو يشتعل، وكان يسمع عواء الذئاب من مسافة بعيدة.

سألت غرايس: «ألا يعرف أحد أين نحن؟».

ـ هذا ما أخشاه.

لأول مرة أحست بالخوف:

ـ حين كنت نائمة. . ألم تتصل «بكرويدون».

ـ حاولت، لكن الهاتف لم يكن يعمل. . يبدو أنه خارج نطاق الشبكة.

ـ إذن لا أحد يعرف في أي جهة اتجهنا بعد مغادرة «أوندارا»؟

ـ لا.

تنهد ميتش. . ثم تابعا النظر بصمت إلى ألسنة النار عدة دقائق قبل أن يتكلم مجدداً.

ـ شكراً لصمودك ومواجهتك لكل ما حصل. . لك كل الحق في أن توجهي التوبيخ لي.

ظهر التكدر على غرايس وحدقت عميقاً في النار. . من المدهش أن تبقى هادئة هكذا في وجه الخطر الحاضر. . ولكن لو كانت الظروف مختلفة لانتابها القلق من البقاء بمفردها مع ميتش.

وأضاف ميتش: «لا أحد منا سينام على الفور».

ووجدت غرايس صوته العميق مريحاً بشكل غريب، يملأ الصمت، وأكمل:

ـ أعتقد أن لا مجال الآن سوى التعرف إلى بعضنا أكثر.

ـ كيف تعني؟

ظهرت بسمته العريضة على وهج النار الأحمر.

ـ اهدئي غرايس. . أنا ببساطة أطلب منك أن تعرفيني قليلاً عنك. . أخبريني عن عائلتك.

أخذت غرايس نفساً طويلاً وهي تجلس تسند ذقنها على ركبتيها. أخذت نظراتها تنتقل من الحطب المتوهج إلى السماء المليئة بالنجوم فوقها، غير واثقة إلى أي مدى تريد أن تكشف روحها أمام رئيس تجده يثير الاضطراب.

ـ أن تكون مقطوعين هنا وسط البرية، لا يعني أننا يجب أن نكون زميلين حميمين.

بدا حب المغامرة والتسلية في عيني ميتش.

ـ أنت آمنة جداً آنسة روبنز. . ما زال الطريق أمامنا طويلاً قبل أن نصل إلى هذه المرحلة.

وردت بصوت ساخر متزمت:

ـ إذا كان يجب أن تعرف. . ولدت في كوكب بعيد وجئت إلى الأرض في مركبة فضائية حين كنت في القرن الخامس من العمر. . وتبناني أرضيان طيبان.

والتفتت إلى ميتش لتقيس ردة فعله.

قال بتعبير صارم: «هذا يعني الكثير».

ـ وأنا سعيدة لسماع هذا.

ـ أفهم الآن لماذا أنت لغز محيّر.. وأستطيع أن أرى أنك المرأة الخارقة «سوبر ومن»، مع ذلك خائفة من الرجال الأرضيين.

تراجع إلى الخلف يشبك يديه خلف عنقه ويبتسم:

ـ ويبدو أنك لا تريدين الكلام عن حياتك الخاصة.

صاحت غرايس وهي تهز رأسها سخطاً:

ـ أوه.. بحق الله.. هل أنت مضطر لتحليل نفسيتي كل مرة؟

طوت ذراعيها على صدرها، وأكملت بصوت منخفض:

ـ حسن جداً.. هاك التفاصيل المذهلة، أنا طفلة وحيدة. كان أبواي.. كبيرين بما يكفي حين ولدت.. وقد عشت طفولة.. هادئة جداً.

كان يمكن أن تقول إنها مكبوتة أو منزعجة، لكنها الآن وسط اللامكان، مع هذا الرجل المغيظ..

ـ وهل كنت تلميذة جيدة!

ـ أوه.. أجل. كنت أحب الدرس كثيراً، وأنال الجوائز في الخطابة.. كانت هذه أفضل طريقة لإرضاء والديّ.

حرك ميتش النار بغصن حطب طويل:

ـ إذن، كيف كان إحساس والديك حين عملت في صناعة السينما؟

لسبب ما، فرحت بسؤاله.. لأنه جعلها تشعر بأنه مهتم حقاً بحياتها.. قالت:

ـ ذعرا في البداية.. خاصة أبي. إذ كان يأمل أن أصبح طبيبة أو محامية، أو شيء يماثلهما هيبة ومركزاً.. في طفولتي لم يصحباني معهما إلى السينما قط.. لذا.. لست أدري.. ربما جاءت ردة فعلي كبيرة بعد كل الحرمان، لكن حين بدأت بالخروج إلى السينما كمراهقة فتنت بها حقاً.. وأسرتني تماماً.. وعرفت أن علي أن أعمل بطريقة ما.. أخيراً شعر أبي وأمي بالأمل والفخر بدلاً من الخيبة بعد أن شاهدا اسمي ضمن أسماء العاملين في أول

فيلم عملت فيه.

ـ وماذا عن الرجال في حياتك؟

جلست مستوية: «وماذا عنهم؟».

هز كتفيه: «مجرد فضول.. أعرف أنك تحبين إعطاء الانطباع بأنك غير مهتمة بهم، لكن..».

أخذت نفساً حاداً، ربما من الأفضل لو أفهمته الحقيقة منذ البداية.. وقالت بسرعة:

ـ أنا متأنية جداً في الاختيار.

ـ ولماذا لا يدهشني هذا؟

فكرت، لوقت قصير، أن تذكر له روجر، لكنها تراجعت بسرعة عن الفكرة وقالت دون أن تنظر إليه:

ـ وهذا بدوره كان يعمل بطريقة أخرى.. إذ لدي شخصية محافظة إلى حد ما، أنا جادة وهادئة. والرجال لا يجدون هذه الميزات مغرية.

كان ميتش يحدق فيها.. عيناه المتسعتان تحكيان عن أفكاره وشفتاه تبتسمان:

ـ ولا حتى هنري اسبينال؟

ردت عابسة: «خاصة هنري اسبينال.. كفى حديثاً عني.. فماذا عنك؟».

أخذ يرسم ببطء فوق التراب بالغصن الذي يحمله.. وللحظات طويلة بدا غارقاً في أفكاره.. ثم رفع رأسه بحدة.

ـ ماذا كان هذا؟ عائلتي؟ مات والدي وأنا في العاشرة.. وخاضت أمي كفاحاً حقيقياً لتربيني وإخوتي الثلاثة.

رمى العصا من يده إلى النار، وراقبتها غرايس تحترق.

ـ لم تكن أمي كوالديك، كما يبدو.. لم تكن تهتم بالجوائز الأكاديمية.. لكنها كانت تأتي لتشاهدني ألعب الكرة..

ـ وانتهى بك الأمر لأن تلعب كرة القدم لفرق كوينزلاند.. أليس

كذلك؟

نظر إليها بدهشة:

ـ وكيف عرفت هذا بحق السماء؟

ـ أوه.. سبق أن قلت لك.. أنا أقرأ كثيراً، ولي ذاكرة قوية.

ضحك ميتش: «على أي حال، ما كان يرضي أمي حقاً، أن نعمل في وظائف مؤقتة للمساعدة في جني المال، وعملت لسنوات في توزيع الصحف، وفي جز عشب المرجات. فيما بعد كسبت المال من إصلاح الكومبيوتر لأصحابي».

قطب في وجه غرايس:

ـ لماذا تنظرين إلي هكذا؟

أخفضت رأسها وتمتمت: «آسفة».

لا بد أن دهشتها بدت عليها أكثر مما تدرك، ولسبب ما تصورت ميتش يعيش طفولة مريحة مدللة في كنف أبوين محبين يرفعانه إلى مستقبله الزاهر.

أضافت: «أحاول فقط أن أتقبل فكرة أن ميتش وينتويرث العظيم عاش يوماً عيشة متواضعة.

راقبته يهز كتفيه ويبتسم، ثم قالت بانتظار رده:

ـ إذا كنا سنلعب هذه اللعبة بعدل وإنصاف.. يجب أن أسألك عن النساء في حياتك.

ـ لكنك لست بحاجة أن تسألي.

ـ حقاً؟

ـ لا بد أنك قمت ببحثك وأصبحت تعرفين كل شيء مهم وأساسي عني.. يبدو أنك تعرفين مثلاً، كل هواياتي مع النساء.. كعادة الذهاب إلى الفراش مع نساء لا أعرفهن..

ـ لقد قرأت ما كتبته المجلات.. ولا دخان بدون نار..

واحترق خداها بحرارة متوهجة كألسنة النار التي تنظر إليها.. وفقدت القدرة على الرد.. فحياة رب عملها الخاصة ليست من شأنها.

يا ميتش ويا للراحة! متشوقاً لترك هذا الموضوع. أسند رأسه إلى الوراء، وحدق إلى السماء:

ـ انظري إلى هذا.. نجوم منتشرة إلى ما لا نهاية.. لم أشاهد يوماً هذا العدد الهائل منها.

لاحقت غرايس نظراته.. كانت السماء مزدحمة بملايين الملايين من النجوم الفضية الصغيرة المتلألئة.

مد يده يلكزها بلطف: «فكري غرايس ببعض الفنادق التي تفتخر بخمسة نجوم، نحن نتغلب عليهم جميعاً هذه الليلة».

ولم تستطع سوى أن تبادله الابتسام.

عادت ملامح الجد لتظهر على وجهه:

ـ سعة الكون مفهوم متواضع.. هل فكرت بهذا وتوصلت إلى أي استنتاج؟

ـ إنه كبير!

رمى رأسه إلى الوراء ضاحكاً بصوت مرتفع، فتابعت تدافع عن نفسها:

ـ قبل أن تغرق بالضحك أكثر.. هل تعلم أن هناك نجوماً وكواكب في الكون أكثر مما يوجد حبات رمل على شواطىء العالم كله؟

ضحك مجدداً: «لا.. أعتقد أن هذا التفصيل فاتني».

ـ أعتقد أنك توقعت شيئاً عميقاً له معنى أكثر مني. أنت ترى أنني أميل إلى الجد والتفكير والتأمل.. لكن ما كنت أعنيه حقاً هو أن الكون كبير جداً..

وهز رأسه وهو يراقب النار مجدداً.

ـ في الواقع، يجب أن نتمكن من استخدام النجوم لمساعدتنا في معرفة الاتجاه.

ـ أتعتقد هذا؟ لطالما فهمت أن الشمس معتمدة أكثر.. أوليس هناك حيلة من المفترض أن تقوم بها مع ساعتك والشمس؟

مالت غرايس إليه بعشوائية وأمسكت معصمه الأيسر.. حين لامست يده شعرت بحرارة مفاجئة تتغلغل في داخلها.. لكنها حاولت أن تتجاهل هذا وتنظر إلى ساعته ثم تضحك.

ـ لا أعتقد أن للساعات الرقمية فائدة.. ليس لها ذراعان تتماشيان مع إشارات البوصلة.

ـ لا أعتقد هذا.. وأعتقد أن ما تعلمته صغيراً عن الحياة البرية أصبح قديم الطراز الآن.. فما هي الجوهرة الثمينة التي تعرفينها عن معرفة الاتجاهات؟

نظرت إلى السماء المتلألئة باللون الفضي.. تفتش في ذاكرتها عن شيء قرأت عنه.

ـ أنا واثقة أنني قرأت في مكان ما أنّ بالإمكان استخدام «الصليب الجنوبي».. فهو بطريقة ما له علاقة بالدلالة إلى النجوم.

ـ وإلى أي جهة يدل؟

ـ جنوباً بالطبع.

ـ فلنفترض أن له علاقة بالخط الممتد من الذراع الطويل ويتشعب منه خط آخر.

صاحت غرايس: «أجل.. تذكرت الآن.. هذه هي الطريقة! إنها تعطيك الاتجاه الجنوبي».

ـ إذن، لو طبقنا هذا يجب أن نتذكر أن شجرة الايكاليبتوس الممتدة هناك حتى السماء، يجب أن تكون بطريقة ما إلى الجنوب.

مد يده يصافح غرايس:

ـ لقد أحسنا صنعاً معاً.

وأمسك بيدها لحظة ينظر إليها وكأنه يريد أن يقول شيئاً.

انتفض قلب غرايس.. رجل ضائع في البرية، من الغريب أن يبدو خاطفاً للأنفاس هكذا، فحتى وهو أشعث غير حليق، كان يبدو جذاباً خطيراً أكثر من أي وقت آخر.

ولكم شعرت بالراحة عندما استلقى إلى الوراء، ووضع يديه خلف رأسه.

ـ لقد تذكرت الآن لعبة كنا نلعبها ونحن أولاد صغار، فكري بهذا غرايس.. لو كنت قطعة أثاث فماذا يمكن أن تكوني؟

ـ أية قطعة أثاث أكون؟

وتساءلت في نفسها عما صدم رأسه خلال الحادثة..

قال وهو يشجعها: «أجل.. أعرف أن هذا يبدو غريباً.. لكنه تمرين مشوق، ولسوف تفهمينه بسرعة.. هكذا، ماذا ستكونين؟ كرسياً هزازاً، مقعد حديقة؟».

ـ أوه.. وما الفائدة! أنا إذن.. طاولة مستديرة من خشب الماهوغوني.

نظر ميتش إليها مبتسماً: «إذن.. أنت أنيقة ونشيطة.. وأي نوع فاكهة أنت؟».

رفعت غرايس نظرها إلى السماء: «فاكهة ميتش! لا أعرف.. كنتم على ما يبدو جماعة من الأولاد المفرطي الخيال».

ـ أعتقد أننا كنا هكذا.

ـ ربما أكون.. مانجو.. لا.. لست هكذا.

وضحكت، ثم التفتت إلى جنبها لتنظر إليه وهو مستلق ووجهه الوسيم يقابل النجوم:

ـ ربما أكون شرحة «پاوپاو» باردة ناضجة تماماً.

بدت لها البرية الرهيبة التي تحيط بهما وكأنها تتلاشى. وعلّقت بشكل عفوي:

ـ وأنت.. زعرور أسود.

التفت إليها وعلامات الاستغراب في عينه.

ـ أنا ماذا؟

ـ زعرور أسود.. إنه فاكهة استوائية، وهو لذيذ جداً.. مثل كريما الشوكولا.

ـ وهل أنا هكذا حقاً؟ أحب سماع هذا.

فجأة أحست غرايس بالحرج، وكأنها تلوم نفسها لأنها تمادت فسارعت لتطفىء حرجها:

ـ أما بالنسبة للمفروشات فأنت...

ـ كرسي مدير؟

ـ لا.. هذا واضح جداً.. بل طاولة هاتف.

نظر إليها بدهشة:

ـ كيف خرجت بهذا بحق السماء؟

ـ حسن جداً، أنت الرئيس.. تستطيع أن تقف في أي ردهة وتصيح ليهرع الجميع إليك.

ضحك ميتش:

ـ أرى أنك بدأت تتناغمين مع هذه اللعبة.. الآن دعيني أرى.. إذا كنت آلة موسيقية.. أقول إنك ستكونين «ساكسفون» تلعبين الجاز والموسيقى الهادئة في منتصف الليل.. مثيرة، مزاجية، غامضة الاتجاه.

مثيرة؟ كانت غرايس مسرورة بالظلام كي لا يرى الاحمرار الشديد الذي علا وجهها.

لقد عادا إلى المواضيع الخطرة.. وانتابها شعور بالإرباك يلفه شوق عميق أحاط بها وهذا لن يفيدها.. وردت بلهجة لاذعة:

ـ أما أنت، فما من شك أية آلة موسيقية ستكون.

ـ أوه؟

ـ أنت ستكون الترامبت في فرقة نحاسية.

تنهد بصوت عالٍ:

ـ ولماذا أعتقد أن هذا يبدو لي كضربة مباشرة لغروري؟ هل تشعرين أنني أرغب في دق طبولي كلما أحببت؟

ـ إذا كان الوصف مناسباً..

قطب وجلس باستقامة.

ـ اللعبة تتحول إلى الجفاء.. وأعتقد أن مشاعرك الحقيقية تطفو.. آنسة روبنز.

فجأة ندمت غرايس أنها كانت حادة اللهجة. لقد كان ميتش لطيفاً حقاً.. ورفيقاً جذاباً ومثيراً.

ـ في الواقع كنت أفكر في الصوت المنتصر الجبار الذي يصدر عن الطبل.

أجاب بصوت أجش: «كذابة».

كانت عيناه تلمعان على ضوء النار وتشكوان الحرج.. وقف والتقط حطبة، وضعها بدقة فوق النار.

ـ لن نستطيع أن نشعر كلياً بالاطمئنان.. ولن نستطيع أن نعرف ما هو مخبأ لنا غداً.. لذا ما رأيك لو حاولنا أن ننام ونستريح؟

هزت رأسها.. لاحظت كم هو بارع. لقد نجح في جعلها تتكلم وتضحك باستمرار حتى كادت تنسى الخطر الذي داهمها.

قال وهو يريح جسمه على الأرض مرة أخرى.

ـ مسموح لك أن تنضمي إلى ظهري وأن تدسي نفسك بي إذا أحسست بالبرد.

تمتمت: «سأكون على ما يرام».

استلقت متصلبة قرب النار، صامتة.. لكن، وهي تحدّق في ذلك الظهر الكبير الدافىء المريح، تمنت يائسة لو كان لديها شجاعة أكبر.. إذ لم يكن هناك ظهر تتمنى لو تدس نفسها به أكثر من هذا.

* * *

٥ ـ وحدهما . . . والصحراء!

كانت ليلة رهيبة.

حاولت غرايس فيها أن تبقى دافئة ولكن ذلك كان مستحيلاً. الجانب البعيد من جسمها عن النار أصبح بارداً بشكل مفجع ولو أنها اقتربت من النار لشعرت بالحرارة تلذعها بشكل لا يطاق. . هكذا تقلبت وتلوّت فوق التراب القاسي الذي لا يلين، وأحست كأنها قطعة نقانق تشوى على شواية النار. واستلقت مستيقظة لساعات، تحدق في النجوم البعيدة اللامعة، تشعر بالجوع، والعطش واليأس العميق.

واستلقى ميتش كهيئة جذع شجرة. . وعانت الوحدة مع الساعات الطويلة المظلمة.

أخيراً ظهرت أول خطوط للنور من الأفق البعيد. . وكادت غرايس تبكي فرحاً. . لم تكن قد شعرت بمثل هذا الارتياح يوماً لطلوع فجر جديد. .

كان الفطور تفاحة تقاسماها، وبضع رشفات من ماء. .

وفيما كان يقضم حصته في التفاحة، أخذت تنظر حولهما.

قال ميتش متجهماً: ليس هناك ما يستحق الملاحظة.

وكان عليها أن توافق. . فأراضي الخليج البرية، الممتدة حولهما، كانت دون معالم تقريباً. .

وردت عليه: «على الأقل، لدينا بعض الأفكار عن الاتجاهات. . هناك شجرة الأيكاليبتوس التي لاحظناها ليلة أمس. . فهذا هو الشرق والشمال

لا بد أن يكون من هنا».

وأشارت إلى يسارهما.

تمتم ميتش: «هذا ما كنت أخشاه».

ورفس بحذائه القاسي حجرة صغيرة، تدحرجت فوق الأرض الحمراء.

ـ تخشاه. . ولماذا؟

بدا عليه علامات الازدراء وهو يستدير ليشير إلى ما تبقى من الشاحنة المحروقة.

ـ انظري إلى الجهة التي كنا نتجه إليها ليلة أمس.

استدارت غرايس. . من خلف الشاحنة، رأت أثر الطريق الذي كان يمر بتلال بيوت النمل. . ثم نظرت إلى النقطة التي اتخذاها على أنها جهة الجنوب. . وقالت برقة:

ـ أوه. . يا إلهي. . ربما هذا اتجاه شمالي شرقي.

ـ بينما في الأصل كان يجب أن أتجه جنوباً، أو جنوباً غرباً إذا كنا متجهين إلى كرويدون. . لا أصدق. . كيف انتهى بي الأمر أن أتجه في الاتجاه المخالف تماماً؟

عضت غرايس شفتها. . وبدا ميتش غاضباً جداً من نفسه.

وسألته بسرعة: «هل ننظر إلى الخارطة ونحاول أن نحدد مكاننا؟».

فتحت الخارطة ووضعتها على الأرض، بحيث يراها كلاهما. . وهما جاثيان فوق التراب. . أرخى ميتش يده بخفة على كتفها، وعندما لامست أصابعه بشرتها شعرت بالدفء وارتجفت. . ألا يدرك أثر هذه اللمسات على فتاة؟

قالت، وهي تحاول ضبط مشاعرها بسبب ما يثيره قربها منه من أحاسيس.

ـ هذه هي جورجتاون. . أين تعتقد أنك تركت الطريق العام؟

أشار ميتش إلى مكان ما على الخريطة:

لأتجه جنوباً.

ـ لا بد أنك استدرت في شبه قوس، ثم دون أن تلاحظ، عدت ببطء إلى الشمال.

فرك ميتش ذقنه النامية بإبهامه، ونظر إليها بعينيه السوداوين.. في هذه اللحظة سحبت غرايس نفساً عميقاً. لقد أسر عينيها بنظرات عينيه ورموشه السوداء، حتى نسيت ما كانا يتناقشان به.. نسيت تماماً أنهما في خطر كبير وتباعد الخوف عنها، وشعرت أن هناك شيئاً أكثر أهمية يحدث، إنها جاذبية العينين السوداوين الجميلتين اللتين غرقت في بحرهما العميق.

كان ينظر إليها وهو راكع على الأرض وكأنه لم يرها من قبل.. أدركت بقلب غائر، أدركت أنها بلا شك تبدو في حالةٍ غير مريحة، متسخة مرهقة ليس بحوزتها فرشاة شعر، ولا فرصة لتغسل وجهها.. ما من امرأة قد ترغب أن يراها رجل مثل ميتش وينتويرث في مثل هذه الحالة! بارتباك، مررت أصابعها في شعرها.

قال برقة: «المنظر البري غير المألوف يناسبك تماماً غرايس... حين نعود إلى المكتب، يجب أن تعتني جيداً بهيئتك».

عادت غرايس إلى وعيها، وقالت ببرود تصر على أسنانها: «حقاً ستفعل؟».

للحظات طائشة، كادت تسمح لنفسها أن تفكر بميتش على أنه شخص آخر غير رئيسها.. رجل جذاب، رجل قد تتعلق به.

ويا لها من غلطة حمقاء!. حمقاء، فميتش وينتويرث ليس رئيسها فحسب بل هو الغازي الغامض المحنك.. لقد داس على جورج هيرفي المسكين، ليحل مكانه في رئاسة الشركة.. إنه مستغل آخر مثل «روجر زارات».

أزاحت كتفها لتتجنب ملامسته، وحدقت جيداً في الخريطة.. وقالت بحدة:

ـ فرص عودتنا إلى المكتب تتوقف على تخطيط دقيق الآن.. كم مر

عليك من وقت وأنت تقود في الاتجاه الخاطىء؟

ـ حوالى ساعتين.

ـ إذن، وأخذاً بالاعتبار الطريق الوعرة، ربما نكون قد ابتعدنا في هذا الاتجاه مئة وخمسين كيلو متراً، أي أننا على وشك الوصول إلى «كايب يورك».

عبس ميتش وهو ينظر إلى الخريطة مجدداً:

ـ أستطيع القول إنك مصيبة تماماً.

وتنهد بعمق.

نظر كلاهما إلى الصحراء الممتدة أمامهما.. ليس هناك ما يدل على وجود بشري في أي مكان. لا عمدان لسياج، ولا سطح ولا أثر للماشية حتى.

ـ كيف سيعرف أحد أننا هنا؟ هذه المنطقة معزولة أكثر مما هو مشهور عنها.

ردت غرايس بهدوء: «لن يجدنا أحد».

لماذا لم تشعر بالخوف أكثر؟ كان وضعهما يائساً.. مع ذلك، كانت تشعر بالهدوء والطمأنينة نوعاً ما. وهذا أمر سخيف.

في تلك اللحظة.. مرت حجب كبيرة أمام الشمس ورفعت غرايس رأسها لترى آلافاً من طيور الببغاء الأوسترالية السريعة الطيران.

قطع صوت ميتش الأجش عليها تأملها:

ـ حسن جداً.. أنا الرئيس، وأنا المسؤول عن تدهور الأمور بهذا الشكل.. لكنني فكرت جيداً بوضعنا، وسنخرج منه.. هذا ما يجب أن نفعل.

وقف ينظر إلى غرايس التي لا تزال جاثية قرب الخريطة، وكأنه يرغب في التحدي. كانت كتفاه مستقيمتين وأسنانه البارزة تعبر عن قابليته للمشاكسة:

ـ كما أفهم الأمر.. القاعدة الذهبية في هذه الحالة البقاء قرب المركبة.

قطبت غرايس وقالت ببطء: «هذا في أكثر الأحوال».

ـ بل فيها كلها.. فهذا هو الأمل الوحيد لكي يرانا أحد.

ـ لكن..

ضرب يده بالهواء تعبيراً عن غضبه، ثم وضع يديه على خصره:

ـ لا أعتقد أنني سأتحمل منك «لكن»، لكنني سأسمع ما ستقولين على أي حال، لذا قولي.

فركت يديها المتعرقتين وشدت عليهما بإرباك، وتنحنحت:

ـ أعتقد أن فكرة البقاء في مكاننا معقولة في حال تعطلت السيارة على الطريق، في مكان يحتمل أن يمر به الناس ويبحثون عنك فيه.. الأرجح أنه هو الحل المناسب.. لكن موقفنا مختلف.. فما من أحد على الإطلاق يدرك أين نحن.

لم يحاول ميتش مقاطعتها، بل تابع النظر إليها.

ابتلعت ريقها وأكملت: «قلنا للجميع في المكتب إننا سنغيب خمسة أيام.. لذا لن يبدأوا التفتيش عنا إلا بعد هذه المدة. وليس معنا طعام أو ماء، لذا لا أمل في بقاءنا هنا. أنا..».

شدّ ميتش على قبضتيه، وازداد عبوسه. بدت عليه علامات النفور ظاهرة وكأنه يريد أن يرمي بها إلى أبعد مكان.. ثم استدار فجأة، يبتعد عنها، ثم ودون سابق إنذار ارتدّ فجأة وعلى وجهه موجة غضب عارمة.

حاله ذكّر غرايس بكاوبوي في مشهد إطلاق نار في فيلم «وسترن» من الدرجة الثالثة.. وتوقعت أن تراه يمد يده إلى مسدسه.

ثم قال صارخاً: «أتعرفين ما المصيبة معك غرايس روبنز؟».

ردت بالمثل: «إنني على حق؟».

ـ في كل مرة لعينة.

أرادت أن تصيح به بأن يغرب عن وجهها.. لكن ملامحه لانت فجأة ليبتسم ابتسامة صبيانية، وماتت الكلمات القاسية على شفتيها. وعاد نحوها، ويداه على خصره.. واتسعت ابتسامته:

ـ سامحيني آنسة روبنز.. أنت ذكية جداً، وعاقلة ولن تسمحي بأن تتشاجر.

أمسك بيدها: «صدقاً غرايس.. الواضح أنك الرفيقة المثالية في رحلتي ومعاناتي في البرية».

لطفه، الذي أضافه بسرعة إلى نبرته الهجومية أربكها.. هذا الرجل يعرف بالتأكيد كيف يهدئ المشاعر الملتهبة.. نظرت إلى يدها التي اختفت في قبضته القوية وتمتمت:

ـ هذا إذا كنت أنا راغبة.

سحبت يدها من يده، ثم عبست.. لقد استدرجها دونما انتباه.. والآن جعلها عاجزة عن التلفظ بكلام سخيف.

بقي واقفاً أمامها مباشرة والحيرة في عينيه: «راغبة؟».

ـ أرجوك.. انسَ أنني قلت هذا.

ابتسم وهو ينفض برقة شعرها عن وجهها.

ـ غرايس متمردة وراغبة، مكافأة غير متوقعة.

ثم تحولت ملامحه إلى الجد وأنزل يده:

ـ لكن هذا لن يخرجنا من هنا.

لم تستطع أن تفكر بشيء ترد فيه عليه، وسأل:

ـ هل تعتقدين أنه علينا التحرك من هنا؟

تمتمت: «نحن.. نحن.. سننقطع من الماء بعد أقل من يوم لو بقينا هنا».

نظر ميتش مرة أخرى إلى الخريطة:

ـ أترين هذا الطريق المتجه شمالاً؟ إننا نبعد حوالى أربعين كيلو متراً عنه.

ـ أجل.. ولو حاولنا العودة من حيث أتينا، لتوجب علينا أن نقطع ما لا يقل عن مئة وخمسين كيلو متراً قبل أن نصل إلى الطريق.

ـ اتفقنا إذن.. سنكمل إلى الأمام ونلحق هذا الدرب شمالاً قبل أن

تشتد حرارة الشمس.

مع أنهم في فصل الشتاء، فإن السير تحت الشمس الاستوائية سرعان ما جعلهما يشعران بالإرهاق والعطش.. كان ميتش مسروراً لأن غرايس وضعت سترتها فوق رأسها لتحمي وجهها وكتفيها من الأشعة الحارقة. ولم يكن هناك أي أثر للنسيم.

حين التفتت غرايس إليه، أقلقه مدى احمرار وجهها.. وفكّر في أعراض جفاف الجسم من الماء: الدوار، التعب، ونقص الشهية.

سألت: «كم بقي معنا من ماء؟».

ـ حوالى نصفها.

ـ من الأفضل أن نوفرها.

ـ لا.. تجرعي منها قليلاً.

ـ أحتاج فقط أن أبل حنجرتي.

وارتشفت بضع رشفات:

ـ الآن دورك.

لكنه أعاد الزجاجة إلى مكانها.. إن حياتيهما الآن تعتمد على الماء، وبإمكانه التحمل أكثر. على أي حال هو المسؤول عن حالتهما هذه.

حاول إبعاد هذه الفكرة عنه. فالشعور الدائم بعقدة الذنب أمر لا يفيد.. لكنه قلق جداً.. فالمضي دون ماء في حرارة كهذه محفوف بالمخاطر..

رفع يده ليظلل عينيه:

ـ يجب أن نتطلع جيداً لأي أثر قد يقودنا إلى الماء.

نظرت غرايس حولها بملل:

ـ ربما يجب أن نلحق بآثار أقدام الحيوانات ذاك.

ـ ربما.. لكنني سأكون أكثر سعادة لو انتظرنا لرؤية آثار متسلسلة أكثر.. نحن بحاجة إلى عدة ممرات متصلة تقودنا إلى الماء.

هزت رأسها: «هذا معقول».

قال ممازحاً: «أنا سعيد لحصولي على موافقتك آنسة روبنز».

تابعا السير منهمكين، متعبين، كئيبين.

كل ما حولهما، كانت الأرض البرّية التي تومض بأشعة الشمس الحارقة.

أخيراً تكلم ميتش، وقال مشيراً إلى يمينهما:

ـ يوجد صخور مرتفعة قليلاً هناك.

لم تكن غرايس قد لاحظت التغيير الحاد في معالم الأرض. كانت تفكر بالموت.. وتتساءل عما إذا كانت ستموت هنا مع رئيسها. وأحست بالضعف والدوار، وأخذت تفكر ما إذا كان الموت عطشاً أمر سهل.. لم تكن تريد أن تموت.. لكن ما يمكنها أن تفعل؟ لطالما تصورت أنها ستقاوم الموت بكل ذرة من إرادتها، وخاب أملها الآن في وقت تحتاج إلى إرادتها فعلاً. إن إرادتها القوية وروحها القتالية اختفتا بسرعة كالندى الخفيف الذي يبلل الأرض قبل الفجر تماماً.

قطع صوت ميتش أفكارها الكئيبة:

ـ قد نتمكن من أخذ قسط من الراحة لقدمينا، ونكتفي بالمراقبة بعيوننا.

تمتمت:

ـ فكرة جيدة.

وأسرعت بخطاها إلى الأمام.

لكن ميتش مد يده إلى مرفقها ليعيقها:

ـ لا داعي للاستعجال.. لدينا الكثير من الوقت.. لا ترهقي نفسك بسرعة.

ـ سأفعل ما تقول.

عندما وصلا إلى قمة الصخور، كان وهج الشمس قوياً جداً.. ولم تستطع غرايس أن ترى شيئاً في البداية. ووقف ميتش إلى جانبها، ينظر إلى ما يحيط بهما دون أن يتكلم.. دعكت عينيها بيدها المتسخة، وسألت: «ماذا

ترى؟».

حين لم تحصل على رد من ميتش، استخدمت كلتا يديها لتظلل عينيها وتتفحص المنظر بنفسها. وخفق قلبها.. ثم قالت بأنفاس مقطوعة:

ـ أوه.. يا.. أوه.. أشكر الله.

كانا يقفان على قمة جرف صخري.. ثمة صخور حمراء تنخفض إلى منصة منبسطة.. وسط تلك المنصة بركة ضخمة من الماء محفورة في الصخر، يحيط بها شجر نخيل بري هزيل..

من بعد هذه المنصة كان هناك منخفض صخري آخر.. لا بد أن هناك شلال يتدفق من فوقها إلى السهول في الأسفل.

قال ميتش بصوت متردد:

ـ هل ترين ما أرى؟ أليس هذا سراباً؟

راقبت غرايس طائري «ابو منجل» يغوصان في البركة..

ـ لا.. هذا ليس سراباً.. إنه.. إنه.. أوه.. ميتش.. لن نموت. إنه ماء! إنه ماء!

ـ كنا نسير على منصة صخرية..

ـ وذلك هو السهل الساحلي هناك.. ولقد وجدنا الماء.

صاح ميتش: «أوريكا!».

رفع غرايس بين يديه من شدة فرحه وسروره العميق وضمها إليه بقوة.. فجأة، أخذت ترتجف وبدأت الدموع تنهال بسخاء من عينيها.. السبب هو الإرهاق بالطبع، وإنقاذ لحياتهما شهده في آخر لحظة.

ليلة أمس، وهما يواجهان الخطر المباشر، كانت هادئة مسيطرة على نفسها.. أما الآن، وقد وجدا الماء الذي سينقذهما فشعرت وكأنها فأر مذعور.

قطب في وجهها.. ولاحق بإصبعه دموعها المنهمرة على وجهها المغبر بلطف وقال برقة:

ـ كنت شجاعة حقاً.. تماسكي بعد قليلاً.

لم تكن غرايس يوماً أكثر سروراً وطمأنينة لوقوف رجل بجانبها ورمت نفسها على ميتش، وضمها بذراعيه ولامس ذقنه رأسها.. كانت متعبة، مغبرة تعاني من شدة الحرارة. استرخت على جسدٍ قوي ثابت، في الوقت الذي أخذت يده تدلك مؤخرة عنقها، ببطء وهدوء.

ودّت لو تبقى هكذا، تستمتع بالنشوة، بالراحة التي يمنحها قربه منها، لولا أن جسمها لم يخنها.. فلمسات ميتش اللطيفة حركت كل مشاعرها..

لم تشعر من قبل حقاً كم أن لمسات العضلات القوية تخلق حرارةً وانسجاماً مع رقة امرأة.. لماذا لم تشعر مع أي رجل من قبل بهذا الإحساس العميق؟ لا شك أنها تأثرت بالحر...

تحركت غرايس في أحضانه ورفعت رأسها:

ـ أوه.. عفواً سيد وينتويرث.. يبدو أن ذراعيك حولي.

بدا حائراً: «عفواً؟».

لكنه تركها فوراً وأطلق سراح ذراعيه وأحست غرايس بانسحابه أكثر مما كانت تحب.

قالت بارتباك: «بيننا اتفاق.. لا تقارب جسدي، إلا عندما أطلب. ألا تذكر؟».

اشتبكت نظرته السوداء بنظرتها، وأحست بضيق في حنجرتها، فقد لوحت نظرة ميتش بالصدمة وعدم التصديق الممزوجين بشيء من الازدراء.

قال متحمساً: «لقد أمسكتني برقة».

وأطلق تنهيدة عميقة.. ثم هز رأسه وضحك بخفة:

ـ حسن جداً.. دعينا نهبط هذه الصخور ببطء.. لا نريد أن نتعرض لأي حادث في هذه المرحلة..

لحسن الحظ لم تكن رحلتهما نزولاً عن الصخور صعبة كثيراً..

وقد سمحت غرايس لميتش أن يساعدها في الأماكن الصعبة حقاً.

حين وصلا أخيراً إلى أمان المنصة الصخرية، تقدمت غرايس بشوق..

كانت البركة باردة، صافية تلمع . . كان أحد أطرافها يلامس سطحاً مغرياً شديد الانحدار، وفي الوسط تمتد مشكلة خليجاً صغيراً ضحلاً تطوف فيه الزنابق المائية.

جنة عدن لا يمكن أن تبدو أكثر بدائية أو أكثر إغراء.

خلعت حذاءها، وأسرعت إلى الماء بثيابها كاملة. وبعد أن رمى الحقيبة عن ظهره، لحق بها ميتش. . وأخذا يعبثان بالماء ويمرحان، ويشربان المياه الصافية التي بعثت الحياة من جديد إليهما.

قال ميتش بعد بروز رأسه بشعره الأسود على مسافة:

ـ ما هو رأيك؟

ضحكت له: «مذهلة! لو أن معنا طعاماً فقط. . لبقيت هنا».

سبح نحوها برفق وقال متأوهاً:

ـ لا تتكلمي عن الطعام. . لقد شوقتني إلى قطعة لحم مشوية لذيذة.

أضافت غرايس:

ـ مع بطاطس مشوية بقشرها. . وفطر مقلي. .

ولعقت شفتيها. .

ـ وسلطة خضار طازجة مع لفافات خبز طازجة من الفرن.

تأوه ميتش:

ـ كفى يا امرأة! منذ دقائق كنت سعيداً بوجود الماء فقط. . أما الآن فأكاد أموت جوعاً. . شهيتي ازدادت لدرجة أنني سآكل حصاناً وأتحلى براكبه.

أكملت غرايس كأنها لم تسمعه: «وللتحلية حلوى التفاح و. . .».

لم تستطع غرايس إنهاء كلامها. . فقد غرف ميتش الماء بيديه الكبيرتين وبدأ يرشها دون رحمة. وصاحت تشهق وتضحك في آن واحد:

ـ النجدة! توقف عن رش الماء!

ـ وهل تعدين أن تتوقفي عن ذكر الطعام؟

ـ أجل.

توقف عن رش الماء، ووقف في الماء إلى حد ركبتيه يواجهها، يضحك ويلهث، وحاولت غرايس أن تبعد نظرها عنه.

وكان هو كذلك، يحدق فيها.

أدركت أن جسمها معالم تبدو واحدة بسبب التصاق ثيابها بها. فسارعت تلفت ذراعيها حول صدرها.

سار ميتش ببطء نحوها وحين وصل إليها، توقف وقال بصوت مقطوع الأنفاس.

ـ سأتوقف عن النظر إليك إذا توقفت عن النظر إلي، وإلا سنعود مجدداً إلى منطقة الخطر. . فأنت بالنسبة لي منطقة محرمة.

أبعدت نظرها بعد فترة، ولكن ليس قبل أن تلتهب وجنتاها.

ـ لقد قطعت لك وعداً غرايس. . لكن عليك مساعدتي. . لا يمكن أن تنظري هكذا إلى رجل.

لاحت على وجهه ابتسامة حيرى أضاءت عينيه، ولوت شفتيه:

ـ هل تعرفين ما تريدين غرايس روبنز؟

ردت بحدة: «أعرف بالتأكيد ما لا أريد».

إنها لا تريد لهذه الحاجة المتزايدة أن تدفعها لملامسته. . ولا تريد بكل تأكيد لمشاعرها الجامحة أن تدخلها بتجربة معه، أو تجربة الراحة بين ذراعيه وهما تضمانها.

وتلاشت ابتسامته.

ـ هل هذا كثير عليك؟

قالت ترفع رأسها تحدياً:

ـ في الواقع. . أنا لم أنه كلامي عن الطعام. . .

ـ حقاً؟

ـ لا بد من وجود طعام هنا ميتش. . تعرف ماذا. . هناك الكثير من الطيور. . وربما هناك أسماك!

هز رأسه ينظر إلى البركة بعين متفحصة:

ـ على العطلات التي كنت أقضيها في البرية وأنا صغير أن تفيدني الآن.

تناولا للغداء آخر لوح شوكولا.. بعد ذلك نزع ميتش قميصه وعلقه على غصن قريب ليجف.. أما غرايس فجلست على صخرة وظهرها نحو ذلك الجسم البرونزي العريض.. فيما بعد قررت أن تجلس وتلتف على نفسها في ظل شجرة نخل متدلية لتستريح.. إنها بحاجة إلى النوم، ولا تريد التفكير بميتش، أو بإمكانية إيجاد الطريق..

راقبها ميتش متقوقعة في الظل.. رموشها الطويلة مسترخية على استدارة خدها الناعم المتورد، وشعرها منسدل على الصخرة وراءها.. إن جمالها الرقيق الشفاف يشتت العقول.

لكنه كان يعلم أن هذه ليست «الجميلة النائمة» التي تنتظر قدوم أميرها.. فغرايس روبنز ستقرر بنفسها متى تريد رجلاً.. ثم سيكون لديها لائحة طويلة من المقاييس ولا شك أنها ستمرره بسلسلة من الاختبارات السرية.

إنها تماماً كأميرات القصص الخيالية.. فهي تبقي نفسها محبوسة في برج.. برج مصنوع من توقعاتها الخاصة والواضحة.

فجأة شعر بالانزعاج لأنه هو ميتش وينتورت لن يستطيع اجتياز أول درجة من أي سلم يقود إلى برجها.

***

٦ ـ ليل وصمت وأشواق!

أحست غرايس بالجوع.

كان الوقت متأخراً حين استيقظت على ألم جوع شديد.. كانت الصخرة حيث نامت لا تزال دافئة، لكن الأشجار كانت قد أظلّت طرف البركة فأصبح الماء بارداً ويظهر بلون قاتم.

حاولت أن تستحضر بذهنها كم بقي لهما من طعام.. تفاحة واحدة! يا رباه! لا تظن أنها قادرة على تحمل ليلة أخرى دون طعام.. ثم انتبهت ثانيةً... أين هو ميتش؟

وقفت تتفحص المكان حولها.. كان هناك مجموعة كبيرة من الطيور التي تحط مساءً على سطح البركة. بعدما شربت الطيور رفعت رأسها تبلع الماء.

لم ترد أن تثيرها، لذا حاولت غرايس أن تتابع البحث والتفتيش في مكانها.. تجعد جبينها تبدو عليها الدهشة، ميتش كان مشغولاً.. فهناك كومة كبيرة من الحطب فوق الشاطىء الرملي على مسافة الخليج الصغير.

أخيراً، طارت الطيور، ثم حطت فوق الصخر المحيط بالبركة.. وهب النسيم ليداعب شعرها ويتغلغل بين أطرافه بمرح، فقرب كومة الحطب، كان يوجد غلاّية شاي قديمة سوداء.. أين وجد ميتش هذا؟

نظرت حولها، وشعرت بالقلق عندما لم تجده، ثم سارت إلى حافة الماء.. تتساءل ربما كان يصطاد السمك أو ربما يغطس.. يا الله.. إنها تتصور جوعاً! في الماء تحتها رأت حزمة أغصان غير عادية قرب صخرة.

قطبت بفضول، وخطت إلى الماء، ثم أزاحت حجر صغير بقدمها والتقطت العيدان، وأحست بوخز مؤلم في إصبعها ورمت حزمة العيدان وصرخت.

ظهر ميتش راكضاً من أحد الأمكنة خلفها:

ـ غرايس.. ما الأمر؟

كان يلهث من الركض قليلاً حين وصل إليها، وأمسك كتفيها: «هل أنت بخير؟».

ـ شيء ما عضني.

وأخذت تمتص إصبعها المتألمة.. مسرورة جداً للهفته الواضحة عليها.

ـ وما كان هذا؟

ـ لا أدري.. كان في تلك الكومة من العيدان.

وقعت عينا ميتش على الكومة التي رمتها. وتجهم وجهه، ثم مد يده بحذر يمسك بالحزمة ويرفعها من الماء ليفحصها:

ـ أوه.. أمر جيد.. أستطيع القول إنك فوت علينا العشاء.

ـ العشاء؟ أوه لا..! لا يمكن!

ـ هذا ما أخشاه.. أعتقد أنه كان لدينا سرطان (أربيان) في كومة الأغصان التي قلبتها لتوك، ودمرت هندستي الرائعة العلمية لفخ السرطان.

ـ وهل أنت من صمم هذه الكومة من العيدان؟

ـ طبعاً.. إنها مما تعلمته من فنون الغابة.. وهذا الفخ يجب التقاطه بحذر شديد، وإلا خسرنا طعامنا الثمين.

تمتم لاعناً بصوت منخفض: «سرطان مائي سمين طري كان سيكون لذيذاً وهو مشوي فوق النار».

ـ آه.. وأنا جائعة.. كيف لي أن أعرف؟ لم يبدُ فخاً.

هزت كتفيها وهي تشعر بالذنب وكشرت وجهها.

ـ أنا آسفة.. لقد أضعت فرصة عشائنا!

راقبت ميتش يهز رأسه:

ـ ماذا يقولون عن النساء وفضولهن القاتل؟

كانت شفتا ميتش متزمتتين بشدة وهو يعيد تشكيل فخه.. أما هي فراحت تراقبه وهو يربط أحد طرفي الفخ بأعشاب طويلة.

ـ ما هذا الذي تضعه في الداخل؟

ـ جوزة نخيل مهروسة، إنه الطعم.

ـ أوه.. هكذا إذن.. السرطان يهوى هذا النوع من الأشكال المخروطية.

ـ أجل..

ـ وهل تظنه أحمق بما يكفي ليجرب مرة أخرى؟

أنزل الفخ إلى الماء، وأطلق بوجهها ابتسامة لطيفة.

ـ لست عالماً بطبيعة حياة سرطان الماء، نأمل ألا يكون حاذقاً جداً.

ـ أعرف أن مدى ذاكرة السمك الذهبي هو ثلاثة ثوانٍ.

طوى ميتش ذراعيه على صدره وضحك.

ضحكت غرايس ثم دلكت ذراعيها عندما هبّ النسيم فهما يتوقعان أن يبرد الطقس بعد مغيب الشمس.

ـ لقد جمعت الكثير من الحطب للنار.

هز رأسه: «أجل.. سنكون الليلة في راحةٍ أكثر.. ولقد تذكرت كيف كان البدائيون يشعلون النار.. كانوا يشعلون ثلاثة مواقد ويتركون مساحة كبيرة بينها للنوم».

ـ لتجنب الشعور بحرارة عالية من جانب وبالبرد في الجانب الآخر؟

طافت ضحكته عليها:

ـ سندفأ مثل «التوست» من جميع الجهات.

ابتلعت ريقها.. وأبعدت عنها فكرة النوم قرب ميتش على الشاطىء الرملي الناعم..

ـ سنكون دافئين لكن جائعين، والفضل لي.

لم يرد على هذا:

ـ سأبدأ بإضرام نار هنا . . فهل ترغبين في إشعال واحدة هناك؟

بعد أن شعرت بالذنب لأنهما فقدا الطعام بسببها عمدت إلى بناء كومة لإشعال النار فيها بعناية شديدة، مبتدئة بعيدان صغيرة، ثم بعيدان أكبر حتى أصبح أمامها هرم مرتب مهيب الشكل.

أخيراً، رفعت رأسها بعدما أنهت عملها فوجدت أن ميتش أنهى بناء الكومتين الأخريين لإشعال النار فيهما. . تأملت غرايس الفارق الواضح بين جهديهما . . كانت كومتي الحطب اللتين بناهما موضوعتان فوق بعضها بعضاً بعشوائية، وكومتها منسقة ومرتبة . . وبدا الجهد الهندسي الصحيح مرتباً بشكل سخيف . . وتنهدت.

متى ستتعلم ألا تكون شديدة الدقة إلى هذا الحد؟

ـ سنستخدم موقدك للطهو . . ونبقي الأخريين للتدفئة فيما بعد.

ـ كم يلزم من الوقت ليقع السرطان في الفخ؟

أمال رأسه إلى جانب واحد وكأنه يدرس رده بحذر.

ـ من الأفضل أن نعطيه ساعة أخرى . . لكننا نستطيع أن نأكل جذور الزنابق المائية . . من المفترض أن تكون جيدة نوعاً ما . . هل ترغبين أن تحفري للحصول على بعضها لنغليها في الغلاية التي وجدتها؟

ردت دون تأنٍ أو اعتراض على كيفية صنعه: «بالتأكيد».

إنها لا تعرف حتى أن للزنابق بصيلات! أعطاها ميتش الغلاية ثم سار إلى الجانب الآخر للبركة وهو ينشد لحناً مبهجاً، يثير الهيبة.

لحسن الحظ، وبعد أن شمرت بنطلونها ونزلت في الماء مجدداً، اكتشفت أن البصيلات موجودة حيث يتوقع أن تكون، في أسفل نبتة الزنبق. ولكن قلعها من الجذور كان صعباً . . فهي مغروسة عميقاً وحتى تخرجها كان عليها أن تشدها بكل قوتها ولكنها في إحدى المرات وهي تشدها وقعت على ظهرها فصرخت «اللعنة!».

عاد ميتش في تلك اللحظة ليجدها مبللة، لكنها صاحت به قبل أن يتكلم بشيء:

ـ أنا بخير.

كان الظلام قد خيّم تقريباً . . ولم تستطع أن ترى ماذا كان يحمل . . لكن ذراعاه كانتا مليئتين، وبدا أنه تراجع عما كان يود أن يصرح به، وتقدم نحو النار.

أخذت غرايس تحدد مكان البصيلات التي وقعت منها بأصابع قدميها الحافية . . لأنها لن تسامح نفسها إذا خسرت عشاءهما للمرة الثانية.

حين أنهت تنظيف البصيلات من الوحل، وملأت الغلاية بالماء النظيف، كان ميتش قد أشعل النار وتربع إلى جانبها . . بعد أن وضعت ما حضرته من طعام العشاء إلى جانبه على الصخر بدأت ترتجف.

أخذ يتفحصها بنظرة من فوق كتفه.

ـ أنت ترتجفين من البرد . . من الأفضل أن تخلعي هذه الثياب المبللة.

أجفلت غرايس، وبدا أن لسانها التصق بسقف حلقها . . وتمتمت:

ـ أنا . . سأكون . . بخير.

هل يظن أنه حصل لها انفصام مفاجىء في الشخصية؟ ما من شيء سيدفعها لتخلع ثيابها وتعرض نفسها أمامه!

ـ النار ستجففني بسرعة.

ـ لن تجففك بسرعة في هذا الطقس البارد.

ووقف فجأة، وسحب قميصه من تحت البنطلون. حركته هذه أوجدت الضعف فجأة في نفس غرايس:

ـ هاك . . ارتدي هذه لفترة، وسنجفف ملابسك على النار الأخرى.

بالرغم من كل نواياها، لم تستطع غرايس إلا أن تحدق بكتفيه الضخمتين المحمرتين بوهج النار . . وبالنسبة لها، لم يعد الليل البارد مشكلة أبداً . . فقد انتابتها موجة حرارة عالية.

ـ لا داعي لأن تتخلى عن قميصك . . لدي سترة الجلد.

لكنه رمى لها القميص:

ـ بإمكانك ارتداء سترتك إذا شئت، لكنها لن تغطي جزءاً كبيراً

منك.. علماً أنني لا أعارض ذلك كثيراً.

ظهر العبوس على وجهها.. إنه محق تماماً بشأن السترة.. فهي بطول الخصر.

ـ اذهبي إلى ما وراء الشجر وغيري ملابسك قبل أن أنزعها عنك بنفسي.

ابتعدت مذعنة إلى مجموعة أشجار مظلمة، ووهناك تمنت لو أنها لم تكن متشددة بشأن ميتش وينتويرث.. فهي تمر معه بالمعاناة ذاتها، وتتشارك معه بمواقف تشبه الخيال، مواقف تحلم معظم الفتيات بها.. ويجب أن تكون سعيدة جداً.. لأنها مع رجل جذاب ووسيم مثله.

خلعت قميصها المبلل.. لكنه رئيسها بحق الله..! رئيس مزعج متعجرف عنيد! ووسيم بشكل رهيب، أعزب.. ثم انقلبت وجهة تفكيرها لتتخيل ملامح وجه زميلتها ماريا الساخر وهي ستسمع منها أنها كانت بمفردها في الصحراء مع ميتش، وتصرفت وكأنها تلميذة خائفة. وفيما كانت تفتش في الحقيبة عن البنطلون القصير الآخر تحرك شيء داخل الحقيبة، شيء ناعم مستدير وطويل وزلق.

رمت الحقيبة وصرخت ثم صرخت مجدداً.. وخرجت من بين الأشجار تصيح:

ـ أفعى! النجدة! ميتش إنها أفعى!

في لحظة كان إلى جانبها يمسك عود حطب مشتعل.

ـ وهل لسعتك؟

هزت رأسها نفياً.

سأل بسرعة: «أين هي؟».

أشارت إلى أشجار النخيل الصغيرة: «هناك.. في.. حقيبتي».

تقدم ميتش بحذر والحطبة المشتعلة أمامه.

ـ أستطيع أن أراها.. إنها تحاول أن تهرب بسرعة.. إنها خائفة أكثر منك غرايس وقد خرجت من الحقيبة وتنسلق الشجرة الآن.

صاحت: «اتركها وشأنها! ابتعد عنها!».

استدار ضاحكاً:

ـ لا بأس.. إنها من النوع الأليف، وليست قاتلة. بل لا تؤذي أبداً.

وقفت خلفه، وبداها لا تزالان ترتجفان..

ـ إذا تركنا الأفعى وشأنها، وبقينا قرب النار، فستتركنا وشأننا.

ـ هل أنت.. متأكد؟

ـ تماماً.. فالأفاعي الخطرة لا تتسلق الأشجار.

ابتسم لها مطمئناً، ثم انحدرت نظراته عن وجهها لكنه سرعان ما حجب نظره عنها.

تمتمت: «ثيابي.. إنها.. هناك».

ـ حسن جداً.. الزمي الهدوء.. سآتيك بها.

تناول ميتش الحقيبة وقميصه، ثم عاد ليأتي بثيابها المبللة.

لن تستطيع العودة إلى ما بين الأشجار لترتدي ثيابها.. فكان أن أدارت ظهرها لميتش.. وارتدت القميص الذي كانت أكمامه أطول من يديها وانتهى طرفاه إلى ما يقارب نصف ساقيها.. على الأقل غطاها تماماً.

أحست غرايس بهدوء أكبر وهي ترفع الكمين إلى فوق.. أما ميتش فحمل بهدوء ثيابها المبللة وفرشها على الصخرة لتجف..

عاد ميتش الذي جثا على ركبتيه ليكمل ما كان يطهوه.. كان سكون الليل عميقاً، والصمت مطبقاً فأحست غرايس بهذا الهدوء القاتل حولهما وقد امتد أفقه إلى البعيد حيث النجوم المتلألئة وكأنهما الشخصان الوحيدان على هذا الكوكب. سألها وهي تعود إليه مترددة:

ـ لماذا تبدو النساء دائماً أفضل بكثير في ملابس الرجال؟

أخذ يحرك الجمر بشريط طويل لكن عينيه كانتا عليها ينظر إليها بإعجاب مفاجيء.

حاولت أن تخفي سرورها الذي بعثته كلماته، وحاولت تجاهل نظرته.

ـ أعتقد أن نصف سكان الأرض تقريباً، النصف الأنثوي قد لا يوافقك

الرأي.

أغمضت عينيها وفتحت أنفها تتنشق نسيم الليل.. إنها تشعر بالجوع وها هي تشمّ رائحة طيبة.

ـ ماذا تطهو؟

ـ سرطان.

ـ واو.. ! إذن، الذي أضعته عاد إلى الفخ؟

ـ في الواقع.. لا.

ـ لكن.. كيف اصطدته إذن؟

ـ بل اصطدتها.

ـ عفواً؟

ـ الفخاخ الخمسة الأخرى التي وضعتها كانت ناجحة وسيكون لدينا وليمة.

فتحت فمها متفاجئة، ورمته بلكمة سريعة على ذراعه.

ـ أتعني أنك أقمت خمسة أفخاخ أخرى؟ ولم تقل لي؟ أيها المتوحش! تركتني أعتقد أنني أضعت فرصتنا الوحيدة للطعام؟ أيها القذر!

ولكمته لكمة أخرى فتألمت غرايس لأنه لم يتحرك.. كانت ذراعه قاسية كالإسمنت وآلمتها يدها.

ـ لا تتوقعي أن تعرفي كل شيء غرايس.

تنشقت الرائحة بشهية.. وجثت على ركبتيها، لتلقي نظرة على الغلاية.. يجب أن تركز اهتمامها على الطعام وتنسى أمر الرجل اللعين الجذاب الواقف خلفها تماماً.

بعد لحظة، كان جاثياً إلى جانبها.. فامتعضت منه لاقترابه منها، وكادت تهوي إلى النار.

ولكنه على ما يبدو لم ينتبه إلى ارتباكها إذ أخذ يقلب السرطان.

ـ سرعان ما تنضج.

ـ وكيف سنفتحها؟

كانت معدتها تتلوى بشكل غريب، وأقنعت نفسها أن السبب يعود إلى رائحة السرطان المشوي اللذيذة.

ـ شيء واحد ابقيه دائماً في جيب بنطلون الجينز، وهو سكين الجيب.

وأعطاها السكين مبتسماً:

ـ هاك.. حركي بصيلات الزنابق، وانظري ما إذا نضجت.. أظن أن السرطانات قد نضجت.

وأصبح كل شيء جاهزاً.

ضحك ميتش وهو يعطي غرايس وجبة لحم السرطان الأبيض، وبصيلات الزنابق المقطعة فوق ورقة نخل عريضة.

ـ وجبة طعام لذيذة في البرية.

تناولا طعامهما اللذيذ بهدوء وسعادة وبعد أن أنهى ميتش سرطانين ونصف البصيلات بدأ يتحدث عن المخيمات.. خاض بمواضيع مختلفة، ودهشت غرايس لاكتشافها أن كليهما يحب الأيام الممطرة، وقراءة سيرة حياة العظماء، ويحبان زيارة المتاحف، ويكرهان معاً البيتزا التي فيها الكثير من الجبن.

وتدريجياً تلاشى ألم الجوع من معدة غرايس وعاد العالم يبدو لها أكثر إشراقاً.

كانت ابتسامة ميتش عريضة:

ـ نحن محظوظان جداً.. لدينا الطعام والملاذ، والماء والدفء.

ـ ما نحتاج إليه الآن، أن ينقذنا أحد.

نظر إليها بحدة: «وهل أنت مستعجلة؟».

خفق قلبها فجأة:

ـ طبعاً.. ألست مستعجلاً؟

تمتم بغموض وهو يفتح آخر سرطان: «بلى.. أعتقد.. لكن، لا أدري.. فقد أستفيد من بضعة أيام من العزلة المقيدة، في جنة صغيرة بعيدة مثل هذه.. فالحياة نشطة جداً هناك في العالم الحقيقي.. ولكم أحبذ ألا

يكون هناك مواعيد محددة، أو مكالمات هاتفية..».

ابتسم مجدداً: «لدينا كل ما نريده هنا..».

لم تستطع غرايس إبعاد نظرها عن ميتش. بدا لها مسترخياً، سعيداً، ومرتاحاً بما يحيط به.. وجذاباً بشعره الأسود، وبعينيه اللتين تعكسان وهج النار.. ولو كانت صادقة حقاً، فستعترف بأنه لا يشبه أبداً ذاك الرئيس المتصلب والمتسلط.

ابتسم فشعرت بإثارة ممتعة جعلتها تشعر بالتشوش، من أصابع قدميها وصعوداً.

صدمتها هذه المشاعر المفاجئة كما يصدم النيزك الأرض.. إنها تريد أن يعانقها ميتش..! تحتاج أن يحتضنها!

توقفت عن تناول الطعام.. وربما توقفت عن التنفس.. كل ما كانت تدركه هو ذلك الإحساس الدافىء.. هذا الشوق المفاجىء لميتش وينتويرث، وبدا لها أنه الشيء الوحيد المناسب والضمانة لها في هذا الكون كله.

لم تستطع أن تتناسى لطفه وعنايته اللائقة بها. ولم تستطع أن تبعد نظراتها عن وسامته أمام وهج النار التي شكلت ظلالاً مثيرة وزوايا ومساحات.

كان بدوره ينظر إليها وكأنه أحس بسبب جمودها المفاجىء.. فهل كان يسمع خفقات قلبها المذعورة؟ أو أنفاسها الخشنة؟ ماذا يمكن أن تفعل بمثل هذه الورطة؟ حباً بالله.. لطالما حذرت نفسها أن على هذا الرجل ألا يلمسها! وها هي الآن لا تريد إلا أن يأخذها بين ذراعيه.

هذا أمر سخيف جداً!

احمرت وجنتاها وهي تدفع بغلاف السرطان بعيداً، كان ميتش قريباً منها لكنه لم يحرك ساكناً، أو يتكلم بل اكتفى بالنظر إليها مباشرة.

تحول العالم حولهما إلى سكون تام، وهدوء كامل.. فقد أصبح كل عود، كل نجمة، كل صخرة وشجرة مرتقباً متشنجاً، تعاطفاً مع شوق

غرايس. حتى النار، بدا وكأنها توقفت عن الطقطقة. صمت.. صمت.. صمت..

كان الليل في سكونٍ عميق بحيث لم تستطع غرايس أن ترفع صوتها أكثر من الهمس.

ـ كنت أتساءل...

قرب ميتش رأسه ليسمع كلماتها.

مقطوعة الأنفاس، نظرت إلى كتفيه وأخذت نفساً عميقاً.

ـ كنت أتساءل عما إذا كنت ستفكر..

أوه.. لماذا هي متوترة هكذا! إنها ترتجف.. لا يمكنها أن تفعل هذا.

ـ ماذا تريدين أن تقولي غرايس! أفكر..؟

ـ أجل.

ـ بماذا أفكر بالضبط؟

ـ هل ستفكر..؟

وعرفت أنها لو حدّقت في عينيه لوجدت نظراته تسخر منها. هكذا نظرت إلى صدره القوي المريح.

ـ تفكر بأن تنكث بتعهدنا.. أتظن هذا؟ هل يمكن أن تفكر...؟

أغمضت عينيها واستاءت من خجلها الزائد.. هذه قطعاً الطريقة الخاطئة للإغواء، إنها متوترة جداً.

حين فتحت عينيها، كان ميتش لا يزال ينتظر بهدوء، ويحدق بها.. وبدا أنه يأخذ أنفاساً عميقة بصعوبة.

أدركت إنها انتظرت طويلاً لتكمل سؤالها.. الآن، وهو ينظر إليها هكذا، مضطرباً مثلها.. لم تجد القدرة على قول الكلمات المناسبة.

قالت وهي تمسك بالغلاية: «سأغسل الغلاية».

وأسرعت إلى حافة البركة.

ركعت عند الحافة الرملية وأخذت تغرف الماء محدثةً ضجة وجلبة.

هل هذا يدل على أن التقرب من رئيسها ليس أمراً سهلاً أو بسيطاً؟

أحست بالانكماش والإحراج وهي تتذكر كيف أثارت ضجةً وانتفضت في آخر مرة عانقها.

نفضت الماء الزائد من الغلاية بعصبية. راقبت كيف تلاشى الماء، وتساءلت عما يمكن أن يعتقده ميتش بسبب تصرفها الغريب.

جاء الرد على سؤالها بسماعها لوقع أقدام خافتة على الرمال خلفها.. وتصلبت الشعيرات الرقيقة في مؤخرة عنقها.. وعلقت أنفاسها حين أراح يديه لتستقرا بخفة على كتفيها.

أخذ يبطء يدلك كتفها بإصبعه:

ـ هل تنهرين مني؟

وأحست بكتفيها تتراجعان إلى الوراء لتستريحا على صدره الدافىء.

وتمتم في أذنها. «أكنت تودين أن تسأليني شيئاً.. غرايس».

احترقت وجنتاها ووجدت أنها لم تعد تستطيع ضبط مشاعرها. والتفتت بين ذراعيه وهي ترتعش فتكيفت يداه مع التغيير وبقيتا تمسكان بها.. هذا الرجل لا يقاوم أبداً.

بكلماتها تفوهت بشكل لا إرادي:

ـ أنا.. أريد منك.. أن تعانقني.

وأغمضت عينيها خائفة.

حين لم يرد أحست بالرهبة. ميتش لا يريد أن يعانقها!

منحها الظلام راحةً أكثر، وأحست غرايس باحمرار يحرق خديها، وانكمشت أفكارها.. لقد عانق ميتش أكثر نساء الأرض إغراء.. فلماذا يريد أن يعانقها؟ كيف أمكنها أن..؟

انقطعت وساوسها المخيفة بلمسة يد على خدها وأحست بأصابعه تتحرك من أذنها إلى وجهها.. عندما فتحت عينيها، فتح يديه ليحيط بجانبي وجهها.. وحين رفعت نظرها إليه، وجدت في نظرته وملامحه أثر انعكاس مشاعرها.

تمتم: «أنت دائماً تأتين بأفضل الأفكار غرايس روبنز.. ولا أعتقد أنني

سمعت يوماً اقتراحاً أثار اهتمامي أكثر من هذا. كنت أفكر كثيراً في معانقتك».

هزت رأسها موافقة، وقد عجزت عن الكلام.

ارتعشت عندما انحنى يعانقها.. كان عناقه الواعد، يرسل موجات شوق بطيئة إلى كيانها كله.

تأوهت بصوت منخفض، وأحست كأنها ملكة الليل التي تحولت إلى سائل.

إنه عناق لم تكن ترغب أبداً أن ينتهي.

هكذا حين توقف، حين رفع ميتش رأسه، أحست أنها سُلبت شيئاً هاماً.. مثل رئتيها.. نظر إليها من تحت رموشه الكثيفة.

ـ كنت أعرف أنك رائعة في العناق كروعتك في أي شيء آخر غرايس.

ـ وهل.. هل يجب أن أوجه لك دعوة في كل مرة؟

ورفعت أصابعها إلى شفتيه، واخترقت عيناه عينيها وهو يقبل كل إصبع ببطء، واحداً واحداً.. وهمست مرتجفة:

ـ آه ميتش!.

وجذبها إليه، وأخذ يعانقها وكأنه لن ينال ما يكفيه منها.

***

٧ ـ أرض الأحلام الضائعة

كان ميتش يعرف أنه إذا وضع أكواماً من ورق الشجر الأخضر فوق النار، فإن ذلك سيحدث ثلاث غمامات من الدخان الأبيض.. وهذه أفضل طريقة لإرسال إشارات الخطر في برية نائية معزولة..

لكن، حين أطلت الشمس من وراء الأفق ذلك الصباح لم يكن يفكر بجذب الانتباه إلى محنتهما.. وبقي مستلقياً يراقب الأشعة الوردية والرمادية التي تتلون بها السماء مبشرة بيوم جديد.

اقترب من غرايس وأخذ يتحسس أطراف أذنها بأصبعه وهي نائمة.. إن هذه المرأة لضرب من المفاجأة. من كان يعلم أن وجودها في البرية سينتزع من نفسها كل تزمت وعادة مكتسبة.. كانت فكرة العودة إلى المكتب، ومخاطر التمثل بالقناع القديم المتصلب مسألة تبث الكآبة في قلبه.

وتحركت غرايس وفتحت عينيها الخضراوين ببطء، وابتسمت:

ـ صباح الخير.

رفعت نفسها وطبعت على خده الخشن قبلة.

وتأوه ميتش.. فلتذهب إشارات الإنقاذ إلى الجحيم! وانحنى ليعانقها.. وتحشرج صوت داخل حلقه.. إلى الجحيم بالعمل.. ماذا يمكن لرجل أن يفعل حين تكون امرأة كهذه قربه؟ ومن يهتم بالميزانيات، إنه يريد أن ينسى ضغط الوقت النهائي المحدد للمشروع.

قال لها بعد سباحة في البركة:

ـ أعتقد أن علينا قضاء يوم آخر هنا على الأقل، قبل أن نتابع السير..

نحن بحاجة إلى استعادة قوتنا بعد هذه المحنة.

ابتسمت بخجل.. لكنها لم تعترض، وكان ميتش أكثر سعادة مما كان منذ زمن بعيد.

استفادا أكثر ما يمكن من يومهما، يمرحان كولدين طائشين في المياه الدافئة من حرارة الشمس.. يضحكان معاً وهما يجمعان المزيد من السراطين وبصيلات الزنابق.. أو يتناقشان بأفضل الأفلام لديهما، ويتجادلان بشأن الأمور التي لا يحبذانها.

وأكثر من مرة، كانا يتعانقان.

في نهاية اليوم، استسلم كل واحد منهما إلى النوم تحت وطأة سكون الليل وضوء قناديل السماء.

لكن مع شروق شمس يوم جديد، كان على ميتش أن يواجه الوقائع القاسية.. لن يتمكنا من البقاء هنا إلى الأبد.. لقد آن الوقت ليتركا ملاذهما.

أخذ نفساً طويلاً من أعماقه.. القول المأثور بأن الوقت من ذهب، صحيح تماماً.. لقد تذكر ما أودعه من آمال في فيلم «الغد الجديد» وأهمية ذلك له... وعرف ميتش أنه من غير الممكن المخاطرة بعمله أكثر من ذلك.

ـ في الواقع يجب علينا أن ننطلق مجدداً اليوم.

استدارت غرايس بسرعة لتخفي خيبة أملها. كانت تعرف أنه على حق، لكنها كانت تتساءل عما إذا كان يكره فكرة ترك هذه الجنة بقدر ما تكرهها هي.

تابع ميتش:

ـ طبقاً لحساباتي لا تبعد الطريق أكثر من عشرين كيلو متراً.

قالت: «إذن يجب أن نتناول طعام الإفطار، ونملأ زجاجة الماء إضافة إلى الغلاية بماء نظيف، ونتجه نحو الطريق».

ـ ومتى وصلنا، فمن المؤكد أن يصادفنا أحد.

كانت الغيوم وهما يسيران طوال فترة الصباح، تتجمع في الأفق بكتل

ضخمة رمادية.

قال ميتش معلقاً: «ستمطر بعد الظهر».

قالت غرايس وهي توافقه:

ـ سيكون من المريح بالتأكيد أن نتخلص من هذه الرطوبة.

مرر كمه على جبينه، ثم أشار إلى غابة أمامهما:

ـ سنستريح ما إن نصل إلى غابة أشجار الأوكاليبتوس هناك.. من الأفضل أن نمضي الفترة المشمسة من يومنا في ظلها.

ابتسمت له بمرح مفرط: «إنه لاقتراح عظيم».

ابتسم لها: «أنا فقط أختار ما هو الأفضل لك.. فمن المنطق أن يأخذ المرء قيلولة في المناطق الاستوائية».

بينما كان تفكيرها مشغولاً، لفت اهتمامها صوت صليل وخفقان فاتجه سمعها نحو الصوت.

ـ ما هذا؟ أنا متأكدة من سماع صوتٍ ما.. وكأنه محرك.

ووقف ميتش بصمت ليصغي: «أنت محقة.. إنه قادم من ورائنا».

قطبت غرايس: «لكن لا وجود لطريق هناك!».

ونظرت عبر السهل الذي قطعاه لتوهما.. ما هو بحق الله.. ذاك القادم من ذلك الاتجاه؟.

على بعد مسافة، ظهر شيء أسود بدأت تتوضح ملامحه شيئاً فشيئاً.. وتنفست بصعوبة: «أوه.. يا إلهي».

المشهد الذي برز لم يكن كأي شيء توقعته فبدلاً من رؤية شاحنة قديمة لمزارع، تقدمت نحوهما مركبة منخفضة، شكلها يبعث الشؤم ومموهة، وهي ترعد نحوهما:

ـ من هؤلاء بحق الله؟

اقتربت من ميتش: «لديهم بنادق.. هل تعدينا على مكان ما؟».

قطب ميتش وهز رأسه بارتياب: «هناك مدفعان رشاشان على مقصورة المركبة. لكن لا يبدو أنهم على استعداد لمعركة».

وابتسم لها ابتسامة متوترة، قبل أن يرفع نظره مجدداً يراقب المركبة.

قالت بصوت حاد وهي تصر على ما رأت: «لكن هناك بندقية أخرى! أترى ذلك الرجل الجالس على مقدمة المركبة..».

وصمتت مذعورة. فلف ميتش ذراعه حول كتفيها المرتجفتين يطمئنها.

ـ أنت تشاهدين أفلاماً كثيرة غرايس.

ـ الأفلام يا حضرة المخرج.. مفيدة جداً.

شد على كتفيها مبتسماً.

ـ اعترف أن مع ذلك الرجل سلاحاً أوتوماتيكياً، لكن، انظري، إنه يعلقه على كتفه ولا أظنه يستعد لإطلاق النار علينا.

لكن غرايس لم تهدأ.. كيف يمكن لميتش أن يبقى هادئاً هكذا!.. بحق الله.. فالجنود الغرباء لا يمكن أن يسافروا في هذا الجزء الشمالي النائي من البلاد إلا إذا حدث شيء خطير.

همست: «ميتش.. يبدو لي أنهم خطرون جداً. هل حدث غزو لأوستراليا ونحن ضائعان.. كان يجب أن نبقى قرب البركة الصخرية».

علا هدير المركبة وهي تقترب منهما.. فتشبثت غريس بذراع ميتش بيأس.. فقد كانت واثقة من أنها على وشك أن تموت..

تمتم ميتش: «أنا متأكد أنهم غير عدوانيين».

ـ إذن لماذا لا تلوح لهم وتتصرف بود؟

ـ بالله عليك يا امرأة.. دعيني أتصرف.

رفعت بصرها نحو السماء وكأنها تنشد الصبر: «مؤكد».

عاد ميتش إلى المزاج القيادي الذي لا يخاف.. لكن، ربما هكذا أفضل.. وأخذت تختبيء وراءه بحيث تمسك أنفاسها بينما المركبة تبطيء سيرها وتقف.

قفز الرجال بهدوء من المركبة.. أما غرايس فخفق قلبها. خفقات قوية صمت أذنيها.. فكل فردٍ منهم كان مسلحاً، ووجوههم جميعاً ملطخة بدهان أخضر وأسود.

لمحت بطرف عينها علامات الحيرة على وجه ميتش تتلاشى ببطء.. ثم أدركت أن الرجال جميعاً كانوا يبتسمون ابتسامات عريضة وتقدم أحدهم إلى الأمام ومد يده إلى ميتش ليقول بلكنة أوسترالية واضحة.

ـ أظنك الدكتور ليفتكستون؟

وضحك ميتش وهو يصافح الشاب:

ـ يوم سعيد.. سررنا لرؤيتكم. بالتأكيد لم يرسلكم الجيش الأوسترالي للتفتيش عنا!

قدم الرجل نفسه: «ليوتننت ريبلي.. نحن فرقة استطلاع مركزها «تاونسڤيل» ونحن هنا في مهمة تدريب في المناطق النائية».

أشار برأسه إلى الرجل الذي كان جالساً في المقدمة.

ـ هذا فريدي داي.. إنه متتبع الآثار الأول في فرقتنا.. ولقد وجدنا مركبة محترقة هذا الصباح..

قاطعه ميتش: «هذه مركبتنا».

ابتسم ريلي: «نعرف هذا، ورأيت أنها تمثل لنا تحدياً لاختبار قدرة فرقتنا على تتبع الأثر في ظروف حقيقية.. هكذا، ها نحن هنا.. فريدي كان يبحث ويتتبع آثاركما منذ الصباح».

ابتسم ميتش: «هذا عمل بارع جداً».

تقدمت غرايس إلى الأمام لتتفحص وجوه الأشخاص الذين أنقذوهما عن قرب.. كان بعضهم يرتدي قبعات واسعة خاصة بالأدغال، وكان اثنان منهم يغطيان رأسيهما بعصبات خضراء جعلتهما يبدوان مثل القراصنة.. لكن، وبعد ما عرفت من هم.. أدركت أنهم مسالمون.

تابع ميتش يعرفهم عن نفسه: «أنا ميتش وينتويرث.. وهذه غرايس روبنز..».

ورماها بنظرة متشددة:

ـ غرايس مساعدتي.. غادرنا تاونسڤيل في نهاية الأسبوع لنتفحص مواقع التصوير لشركة «ترووبيكانا فيلم»، حيث واجهتنا متاعب مع مركبتنا.

قال ريلي: «لقد اخترتما الاتجاه الصحيح نحو الساحل. تلك البركة الصخرية التي وجدتماها هي المكان الوحيد الذي فيه ماء في شعاع خمسين كيلو متراً هنا».

شد ميتش على كتف غرايس، وغمز لها: «كانت فكرة غرايس.. لأنني أردت البقاء قرب المركبة المحروقة».

ـ أحسنت صنعاً سيدتي.. لقد أنقذت حياتكما.. فبقاؤكما قرب الشاحنة كان أمراً خاطئاً لا فائدة منه.

ظهرت ملامح التجاعيد على وجه الرجل عندما ابتسم ابتسامة عريضة وركز عينيه على ميتش:

ـ كان تخييمكما رائعاً قرب البركة.

أعطى الملازم ريبلي ميتش هاتفاً نقالاً.

ـ هل تود إبلاغ أحد بمكان وجودكما؟

ـ أجل.. بالتأكيد.. شكراً لك.

أخذ ميتش الهاتف وابتعد بضع خطوات لإجراء الاتصال.. راقبته غرايس، فلاحظت تركيزه الشديد وهو يتكلم، وأحست أنه يتحول من حال إلى حال أمامها.

لقد عاد الرئيس.

أنهى مكالمته الأولى ثم عاد وأجرى اتصالاً آخر.. ثم آخر.. وكان الجنود مترددين في التحدث إليها، وتكلموا فيما بينهم حتى انتهى ميتش.

قال ريبلي: «يمكننا أخذكما معنا إلى مخيمنا، إذا شئتما بعد ذلك تنقلكما طوافة إلى تاونسڤيل، إذا شئتما».

ـ رائع.

ومد ميتش يده إلى غرايس ليساعدها على صعود المركبة العالية وتمهلت قليلاً تنظر إلى يده الممدودة التي أحرقتها الشمس.

إنهما عائدان هكذا.. وفي دقيقة كانا على وشك الاستراحة تحت ظل مجموعة أشجار الصمغ، والآن هما عائدان إلى تاونسڤيل، إلى المكتب، إلى

عالمهما الآخر، إلى العمل..! إلى أناس آخرين، ونساء أخريات! رفعت نظرها إلى ميتش وهي تعطيه يدها، ففاجأها بنظرته العميقة المحيرة المقلقة لكنها سارعت إلى الجلوس على المقعد المقدم لها.. إنها لا تستطيع أن تزيل من داخلها الإحساس بالخسارة.. لقد تم إنقاذها! فلماذا تشعر بالاكتئاب حتى المرض؟

كانت تعرف أن ميتش سيقول لها إنها سخيفة.. لكنها متأكدة تماماً أنها لم تكن تغادر البرية النائية فقط، بل تترك وراءها ذكرى جميلة.

جلس ميتش في المقعد إلى جانبها.. وجلس ليوتننت ريبلي قبالتهما، وتسلق رجلان آخران إلى الداخل بينما بقي الآخرون قانعين بالبقاء في الخارج.. قبل أن تهدر المركبة مجدداً إلى الأمام، أخذ ميتش وريبلي يتحدثان كصديقين قديمين.

بينما كان الرجلان يناقشان آخر مشاركة للوحدة في نشاط الأمم المتحدة في أفريقيا، كمبوديا وتيمور، كانت غرايس تراقبهما بصمت.. وبدا ميتش مرتاحاً وكأنه في منزله..

كان تقريباً يتجاهلها بالكامل، وأصبح من الصعب عليها أن تصدق إنها أمضت يومين معه في تلك الجنة التي وجداها.. هذا الصباح فقط كانت معه قرب البحيرة.. وكان يعانقها ويردد اسمها وكادت لعدة مرات أن تقول له كم يعني لها حبه.

يعني لها حبه!

قرب البركة، سمحت لنفسها أن تفكر بالحب.. أما الآن وهما ينطلقان في مركبة هادرة عبر السهل الوعر، فقد حمدت الله لأنها لم تصارحه بمشاعرها اتجاهه.

إلى أن وصلوا إلى قاعدة المخيم، كان ميتش يفاوض في استخدام الجيش للتمثيل في مشاهد استثنائية، في فيلم «الغد الجديد».

استدار إلى غرايس يبتسم لها بحماس:

ـ أوليس هذا مثيراً غرايس؟ ما نحتاج إليه تماماً.

وافقت وهي تجبر نفسها على التبسم: «عظيم».

كان من الواضح، وهي الآن عائدة من عالم الخيال إلى أرض الواقع، أنها ستسترجع تكيفها مع واقعها، فبعد ساعات قليلة سيعودان إلى تاونسفيل، وستعود لتكون الآنسة روبنز، مساعدة المنتج. وسيكون ميتش ببساطة.. رئيسها.

بعد ثلاث ساعات من هذا، أخذت طوافة «الصقر الأسود» تنخفض شيئاً فشيئاً لتهبط فوق مدرج الطوافات في ثكنات لاڤاراك في تاونسفيل، قبل أن تستقر على الأرض.. وانفتح الباب المعدني الضخم ووقف ميتش يتمطى ويبتسم لغرايس.. وسمحت لنفسها أن تستمتع بهذه الابتسامة، وسمحت لنظرتها أن تبقى للحظة أطول مركزة على وجهه وعينيه البنيتين المثيرتين.

وضع يده تحت مرفقها، وسأل: «جاهزة للذهاب؟».

ابتلعت ريقها: «بالتأكيد».

وكبتت غصة ألم في حلقها وهي تسمح له أن يساعدها على الوقوف، ولحقت به إلى خارج الطوافة، ثم نزولاً فوق السلم القصير، محاولة عدم إظهار ملامح كآبتها..

ما إن صدم حذاء ميتش المغبر الأرض، حتى رأت غرايس المرأة. المرأة ذات الوجه البيضاوي، والعينين الأكبر من المياه فوق نهر «روس»، الشقراء البلاتينية بالتنورة القصيرة المثيرة، والسترة والجوارب السوداء والكعب العالي.

ـ حبيبي.. بي..

كان لثيابها وصوتها طعم هوليود وهي تركض نحو ميتش وترمي نفسها بين ذراعيه:

ـ هل أنت بخير أيها الطفل العزيز المسكين؟

* * *

٨ ـ رجل يتعلم من أخطائه

بدا ميتش وكأنه وقع في كمين، للحظات:

ـ كاندي! أنا لم..

انقطع كلامه وهي ترفع نفسها على أطراف أصابع قدميها لتقبله بصوت مسموع. فكان أن شدت غرايس على أسنانها.

أنزلت كاندي كعبيها إلى الأرض وتأوهت: «أين كنت ميتش؟».

هز رأسه وهو يرد لها الابتسام:

ـ كان يجب أن أعرف أنك ستكونين أحد المرحبين بي، بعد أن سمعت أنك هنا.

ـ أنت ولد شرير.. طبعاً، جئت مسرعة إلى هنا لأتأكد بنفسي من أنك على ما يرام.

وضعت يدها بحرص على خده، ولمع بريق أسورتها الذهبية في معصمها:

ـ كنت قلقة جداً عليك!

قطب ميتش: «لكن، ما من أحد كان يعرف أننا واجهنا أية متاعب إلى أن اتصلت بالهاتف هذا الصباح».

ـ صحيح.. لكنني قلقت منذ تلك اللحظة حبيبي وعانيت كل أنواع العذاب.

وتكورت شفتاها المطليتان بالأحمر.

استدار ميتش وهو يعانق كاندي ليرسل ابتسامة إلى غرايس.

ـ نحن بخير وعلى ما يرام.. أليس كذلك غرايس؟

ردت بلهجة حادة كالأسيد:

ـ وبصحة جيدة.

ابتعدت كاندي خطوة عن ميتش، لكنها تركت ذراعها ملتفة حول خصره.. ثم ضاقت عيناها الزرقاوان الواسعتان، وهي تواجه غرايس.

أدركت غرايس فجأة أن مظهرها أشعث. لم تكن بحاجة لأن ترى صورتها في أية مرآة.. تستطيع أن تتصور كيف تبدو، بشعر مجعد غير ممشط، وثياب ملطخة مجعدة، ووجه أحرقته الشمس.

تقدم الجنود، وقدموا أنفسهم، وشكرهم ميتش لمساعدتهم. خلال تبادل التحيات، بدا أن كاندي كانت ما زالت تحدج غرايس بنظراتها.. ثم تظاهرت بالتبسم، ابتسامة مصطنعة كلون شعرها.

ـ ميتش حبيبي.. يجب أن تقدمني لسكرتيرتك الصغيرة.

سكرتيرة! الغضب الصامت تحشرج في حلقها.. فعملها يشمل أكثر بكثير من الواجبات السكرتارية وكانت تتوقع أن تعرف كاندي هذا.

كان سيزيد غليانها وامتعاضها أكثر لو لم يبتعد ميتش عن كاندي ويمسك بيد غرايس يقربها إليه أكثر.

ـ كاندي.. دعيني أقدم لك أكبر مساعدة ذكية حصل عليها منتج أفلام حتى الآن.. غرايس روبنز.

تبادلت المرأتان المصافحة، وكانت يد كاندي باردة مسترخية، وحكمت غرايس أن رموشها السوداء الكثيفة مصطنعة كذلك.

تابع ميتش: «غرايس.. هذه كاندي سوريل.. المرأة التي أؤثر فيها كثيراً».

وجدت غرايس من الصعب إخفاء البرودة من صوتها: «أوه!».

ـ أوه أجل.. إنها المنفذة المالية الشهيرة من استديوهات «هاي سيرا» في لوس انجلوس.

رددت غرايس: «هاي سيرا؟».

إنها أكبر شركة أفلام.

كورت كاندي شفتيها ثم قالت: «هيا ميتش.. أنا لا أبسط يدي إذا لم ألق معاملة مناسبة».

كانت ضحكة ميتش هزيلة.. وارتجفت غرايس.

أكملت كاندي وهي تهز قبضتها فرنت الأسورة في معصمها.

ـ لكن، دعنا لا نقلق لهذا الآن، لقد مررت بمحنة قاسية أيها الرجل المسكين، ويجب أن نعود إلى الفندق.. أعرف تماماً ما أنت بحاجة إليه.. حمام ساخن، وجبة طعام جيدة، ونوم مبكر.. ويجب أن تلتحف جيداً في السرير..

قاطعتها غرايس بهدوء: «ميتش.. أما زال معك ذلك الهاتف؟ أود أن أطلب سيارة أجرة».

عبس ميتش: «لك، غرايس؟ لا داعي. أنا واثق أن كاندي ستكون سعيدة أن تقد..

قاطعته كاندي بابتسامة متحمسة:

ـ بالطبع، يمكننا خدمتك بهذا حبيبتي.

أخرجت هاتفاً نقالاً من حقيبتها:

ـ هاك.. افعلي ما شئت.. إنها لفكرة صائبة منك أن تأخذي سيارة أجرة إلى منزلك بينما أسرع أنا بتوصيل رئيسك المسكين إلى الفندق رأساً.

تمتمت غرايس: «شكراً».

قاطعهما ميتش بحدة:

ـ لا.. لن أترك غرايس تذهب بمفردها إلى منزلها.

ارتفع حاجبا كاندي. ثم تقدم أحد ضباط الجيش وتنحنح:

ـ سنكون سعداء جداً أن نؤمّن للآنسة روبنز وسيلة نقل.

ابتسمت غرايس للرجل بحرارة: «شكراً جزيلاً لك».

كانت تعرف أنها لن تأخذ من كاندي أكثر من هذا.. فالمرأة تعطي مشاعر أكثر من منتجعات المياه الساخنة. والتفتت إلى ميتش آملة أن تتكلم

بثبات وحزم أكثر مما تشعر.

ـ أرجوك.. عد إلى فندقك.. وخذ بعض.. الراحة. سأكون بخير تماماً.

مرّ وقت كثير قبل أن ترد غرايس حين اتصلت بها ماريا.

ـ أنا بخير تماماً..

ـ أنت متأكدة؟ ألم تعاني من فرق المناخ في تلك المناطق الطبيعيّة.

كبتت غرايس تنهيدتها.. فمشاعرها منهكة بعد تلك الصدمات التي كان وقعها عليها صعباً.

قالت وهي تشرح:

ـ كنا محظوظين لأن الشتاء الاستوائي غير قاس.. لكننا عانينا في منتصف النهار من شدة الحرارة. بوجه عام، لم أصب بأية مشكلة.. والآن استحممت بالصابون المعطر. وها أنا ممددة على الصوفا وأمامي كوب عصير مثلج.

أخذت رشفة كبيرة من العصير: «وأشعر أنني بأفضل حال».

ضحكت ماريا: «حسن جداً.. لقد أقنعتني.. اطمئن بالي الآن».

ساد صمت لبرهة قصيرة.. كانت غرايس تشعر باسترخاء جسدي، بعد الحمام الساخن الطويل. شعر نظيف وعضلات مرتاحة، وغرقت في الصوفا أكثر وأخذت رشفة أخرى من عصيرها.

قالت ماريا تحثها:

ـ إذن.. هيا صغيرتي.. ارمي الفولة من فمك، واخبري العمة ماريا كل شيء.

اشتدت أعصاب غرايس قليلاً:

ـ لقد قلت لك كل شيء حول الحادثة ثم وصولنا للبركة الصخرية.. ثم جاء الجيش و..

ـ أجل.. لكنني أريد أن أعرف الأهم من ذلك.

في هذا الوقت سمعت قرعاً صارماً على باب منزلها، فقالت: «اسمعي

ماريا، يجب أن أنهي المكالمة.. هناك من يقرع الباب».

ـ طبعاً.. وأنا لا أحصل إلا على آخر الدوش.. غرايس أنت لست..

وقفزت غرايس واقفة، تتجه عبر الغرفة تأخذ الهاتف النقال معها، وتقطب مع استمرار ماريا بهجومها.. وفتحت الباب فإذا هو ميتش.

وقف هناك، نظيفاً، حليقاً يرتدي تيشيرت أبيض جعل لونه المسمر يبدو قاتماً أكثر.. كان يبتسم ابتسامته الكسولة التي تدفع القلب للخفقان، يداه مدسوستان في جيبي بنطلونه الجينز.. وحضر في ذهنها أسئلة عن الشقراء صاحبة الاسم الجميل. قال: «لدينا أمور نناقشها».

أخرج يديه من جيبيه، وجذبها إليه يعانقها.

انزلق الهاتف من يدها إلى الأرض ليحط على ممسحة الأرجل.. وتعالى صوت «غرايس»: «أما زلت هنا؟».

من بعيد، كانت تسمع صوت ماريا المذعور.. لكن عناق ميتش أخذ كل اهتمامها.. ربما كانت قد طلبت منه أول عناق لهما قرب نار المخيم.. لكن عناقه الآن كان يستجمع كل القوى الحميمة.. كان من الواضح أنه متلهف لضمها بيديه، ومعانقتها.

تمتم في أذنها: «اشتقتِ إليّ؟».

ـ أوه.. أجل.

كانت رائحة بشرته عطرة، دافئة وحارة.

داعب شفتيها بإصبعه: «ما أجملك!».

ارتفع صوت ماريا عند قدميها:

ـ هل هذا ميتش؟ هل هو معك الآن؟

بدا ميتش مجفلاً: «ما هذا بحق...؟».

حذرته غرايس بوضع أصبعها على فمه «هس!» وأشارت إلى الهاتف على الأرض وانحنت تلتقطه.

ـ آسفة ماريا.. لقد أتت جارتي، كانت تعتني بسمكتي الذهبية.. أنا مضطرة أن..

داعب ميتش عنقها، فلم تستطع إخفاء الرجفة في صوتها.

ـ حين أعطتني الوعاء.. أوقعت الهاتف.

ـ جارتك؟ لكنني أعرف أنها امرأة عجوز.

مرر ميتش يده على كتفيها بحب:

ـ آه.. هذا صحيح ماريا، فالسيدة تاي التي تسكن قربي، طيبة جداً.

ـ لكنني واثقة أنني سمعت صوت رجل.. غرايس هل أنت بخير؟ أنت تلهثين.

انتزع الهاتف من يدها وضغط بإصبع قوي على الزر لإقفاله.

وكان هذا آخر كلام لها مع ماريا.

نظرت غرايس إلى الهاتف وميتش يرميه على الوسادة الكبيرة.. وصاحت:

ـ كانت هذه ماريا كاڤاليرو.. ولن تسامحني لإقفال الخط في وجهها.. المكتب كله سيضج بالفضيحة غداً.

قطب: «ولماذا لم تنهي المكالمة في وقت سابق؟»

ـ لقد فاجأتني.

ابتسم بخمول: «أعتقد أنني فعلت هذا».

ـ لم أتوقع مجيئك.. وبالتأكيد لم أكن أعرف أنك ستعانقني قبل دخولك من الباب.

جلس على الأريكة وشد غرايس إليه لتجلس.

ـ عودتنا إلى المدينة لا تعني أن كل شيء انتهى بيننا.

ابتسمت: «هل أنت متأكد؟».

لم يرد سوى بمعانقتها.

تمتمت: «يجب أن تساعدني على اختراع قصة تبقي ماريا صامتة».

وأحست به يتصلب بين يديها، وارتفع رأسه، ونظر إلى الأمام باكتئاب.. وسأل:

ـ وهل فم كاڤاليرو آلة؟

انزعجت غرايس بتغيير مزاجه، وجلست بارتباك:

ـ معروف أنها تنقل القيل والقال.. لكنني واثقة أنها قد تكون كتومة.. المسألة أنها تحب الرومانسيات.. فأقل تلميح ولسوف..

بدا عليه الحيرة وقاطعها: «رومانسيات؟».

اقتربت وجلست تلتصق به أكثر وهي مرتبكة، أبعدت خصلات من شعرها إلى وراء أذنها.. وأحست بخوف من ملامح وجهه القاتم.

ـ أنا لا أعني.. أعني أنني لا أتكلم عن الرومانسية التي تنتهي نهاية سعيدة.. إنها فقط تحب الخوض في علاقة الشاب والفتاة.. تعرف كيف..

وأحست بالإحراج.

للحظة قصيرة، التوى فم ميتش مستهزئاً، لكن سرعان ما ظهرت تعابير الجد على وجهه مكان الابتسامة.

قال متنهداً: «في الواقع.. جئت إلى هنا لنبحث مسألة الفصل بين الرئيس والمرؤوس».

ردت بصوت منخفض: «فهمت».

ـ ثم، وبطريقة ما انحرفت.

ـ يبدو أنها عادتك في الانحراف عن الطريق، سيد وينتويرث.

وجلست متجهمة وهي متأكدة من أن ميتش سيشرح لها، كما فعل روجر منذ ثلاث سنوات، أن علاقتهما العابرة ستعود إلى مستوى العمل.

أسند ميتش رأسه إلى الأريكة وقد بدا عليه القلق.. النور من المصباح الصغير القريب انعكس على تعابير وجهه، ولأول مرة منذ وصل رأت غرايس خطوط الإرهاق العميقة حول عينيه وعلى جانبي فمه.

وتجعد جبينه ليزيد من عمق خطوطه.

ـ أحب أن أعرف أنني رجل أتعلم من أخطائي، مهنياً.. في هذه المرحلة أنا في موقع معرض لأن أخطأ.. أنا أضع كل البيض الذي معي في سلة واحدة.. ولن أتحمل أية زلة حمقاء.

زلة حمقاء؟ هي.. زلة حمقاء!

قالت بحذر: «لست مضطراً أن تملي عليّ ما يجب أن أتصرف به في المكتب.. أفهم كم سيبدو الأمر معقداً وغير طبيعي..».

هز رأسه، وعضت غرايس على شفتها بقوة، لأنها شعرت بأنها واحدة من زمرة ميتش وينتويرث السخيفة.. وابتعدت عنه.. يجب ألا يشك أبداً أنه كان يعني شيئاً رائعاً بالنسبة لها.. وبكل تأكيد، يجب ألا يعرف أنها تحبه، فرجل مثل ميتش لا يهتم بنساء يتركن المجال لعواطفهن في التأثير في تصرفاتهن.

أدار ميتش نظره إلى البساط المصنوع يدوياً:

ـ سيكون هذا أسهل لو لم تكوني تعملين معي.. علاقات المكاتب غير ملائمة أبداً.

غير ملائمة؟ أولاً كانت زلة غبية.. والآن غير ملائمة.

في لحظات ارتفعت وتيرة مشاعرها لتتحول غضباً صادقاً أعادها إلى فكرتها الأصلية عن هذا الرجل.

ـ يا لك من جريء!. من الملائم لي أكثر لو لم تكن رئيسي!

قفزت واقفة وطوت ذراعيها على صدرها.. كان الروب قد انكشف، وبلحظة شدت طرفيه معاً، وعادت لطوي ذراعيها.. وأكملت:

ـ لكنني لست على استعداد للتفتيش عن عمل آخر سيد وينتويرث.

تمتم وهو يلعن، ثم وقف فتراجعت غرايس أمامه.

ـ أنا لا أطلب منك الاستقالة غرايس، أنا أعلمك فقط أننا سنكون في موقف محرج بشكل دائم في المكتب.

ـ وتعتقد أن مجيئك الليلة إلى شقتي ومعانقتي علناً على عتبة داري هو أفضل حل؟

اتسعت عينا ميتش، وحك رأسه..

حاولت غرايس إقناع نفسها: لا.. لا يبدو أبداً مثل ولد صغير أمامه لغز يحله.

ـ أعتقد أنني لم أفكر بعامل المخاطرة.. لكنك قلت إن ماريا كاڤاليرو

قد تسبب مشكلة.

ـ وأنت قلت إن عملي معك يسبب مشكلة.

ـ كنت أتكلم بوجه عام.. كأي حوار بين رئيس ومرؤوس.

أجبرت نفسها أن تبقى هادئة ومنطقية وأن تنسى كم تشعر بالسعادة وهي في ذراعيه.. إنها الآن تكافح لأجل عملها:

ـ إذا كنت تقترح أن توظيفي بشكل عام مخاطرة، يمكنك أن تفكر مرة أخرى.. فأنا أحب عملي.. الذي هو كل شيء بالنسبة لي.

سحبت نفساً عميقاً قبل أن تطلق إنذارها:

ـ أستطيع تدبّر نفسي جيداً دون عناقك ميتش.. لكنني لا أستطيع التخلي عن مركزي في تروبيكال فيلم.

اتسعت عيناه. للحظة، ظنت غرايس أنها رأت لمحة إعجاب.. لكن غضبها وشعورها بجرحٍ عميق لم يدعها تتوقف لتفكر كيف سيرد على هجومها.

أضافت: «وأريد منك أن تغادر الآن.. لا أريد لأحد أن يفكر أنك أطلت المقام في شقتي الليلة، أكثر من اللازم».

ـ مهلك غرايس.. أعتقد أنك تماديت في كل هذا.. لا تنفعلي.. أردت فقط أن..

قاطعته من بين أسنانها المشدودة: «تصفي الجو؟».

مرت من أمامه بسرعة نحو الباب:

ـ اعتبر أن الجو قد أصبح صافياً.. سيد وينتويرث، واللوح نظيف.. وكل العراقيل أبعدت من الدرب. وبإمكانك القيام ببداية جديدة في الصباح دون أي تلميح شرير أو مضايقات مني.. سأعود إلى العمل غداً كمساعدة لك.. و..

تلعثمت للحظة: «وسأترك كل شيء آخر لكاندي سوريل».

ـ كاندي؟ وما شأنها في هذا؟

هزت غرايس رأسها ببطء شديد، وتنهدت:

ـ اسألها.. وأنا واثقة أنها ستكون سعيدة بالشرح لك.. وإذا وجدت صعوبة في الفهم، فستوفر هي لك عرضاً حياً وعملياً، يساعدك.

ـ غرايس.. بحق الله.. لم آتِ إلى هنا لأجعلك غاضبة مني مرة أخرى.

ـ أنا واثقة من هذا.. لذا كنت ستقترح أن أترك العمل في الشركة.

فتحت الباب بعنف وهي مختنقة غضباً، وأشارت بعصبية إلى ممر المنزل الأمامي.

تقدم ميتش نحوها: «غرايس.. يمكن أن نتفق على شيء ما».

ورفع يده إلى خدها. لكنها أبعدت وجهها لئلا يلمسها بيده، وقالت له:

ـ لدي أفضل حل.. إذا كنت غير مرتاح من علاقة العمل، فلماذا لا تجد لنفسك شركة أفلام أخرى تستولي عليها؟ أعد تروبيكال إلى المسكين جورج هيرفي.. فهو لم يكن يستحق أن تنتزع منه الشركة التي كافح ليبنيها هكذا!

ما إن أنهت كلامها، حتى رأت مشاعر الغضب بادية على ميتش.. عيناه قاسيتان جامدتان وشفتاه مشدودتان في خط مستقيم شاحب..

ـ إذا كان هذا كل ما عندك.. فأنا أضيع وقتي في مناقشتك.

سألت غرايس نفسها لماذا تشعر بالضياع فهذه بالتأكيد لحظة انتصار لها!

أحنى ميتش رأسه نحوها باختصار وخرج من الشقة قائلاً: «لا أظن أن هناك شيء مفيد يمكن إضافته إلى هذا الحديث.. عمت مساء».

همست: «ليلة سعيدة».

وما إن اختفى في الظلام، حتى أقفلت بابها وأجهشت بالبكاء.

* * *

مع مرور الدقائق كانت الحياة تتحسن إلى الأفضل بالنسبة لميتش.

منذ أن قبلت غرايس دعوته إلى العشاء قبل وقت قصير، تجدّد تفاؤله

وشعر بالسعادة.. بعد مضي ليلة أمس، كان من المهم بالنسبة له تصفية المسألة معها بشكل لائق.

لكنهما بالأمس كانا متعبين.. مشاعرهما متشابكة بسبب المحنة التي مرا بها. والليلة يمكنهما التحدث بكل الأمور العالقة بهدوء وتعقل.

هنأ نفسه على اختياره لهذا المطعم الشهير الملحق بالفندق حيث يقيم.. إن رآهما أحد فسيظنه لقاء عمل.. ولقد حمل معه كومة أوراق وضعها على الطاولة أمامه.

لكنه في الواقع كان يخطط لنقاش مختلف تماماً.. لقد بنيا جسوراً مهمة أمامهما.

فجأةً سمع صوت رنين مجوهرات، وشمّ رائحة عطر غريب: «ميتش! عشاء عمل، حبيبي.. وتتعشى وحدك؟ لا يمكننا تقبل هذا».

كاندي سوريل في لباسٍ برتقالي اللون ضيق جداً، جلست في الكرسي المقابل له. واضح أنها لا ترى أي شيء مميز في أن هذه الطاولة محضرة لاثنين.

ابتسم ميتش بأدب: «مساء الخير كاندي».

سألت بصوت مرتفع كببغاء مزعج: «ماذا تشرب؟».

أشار إلى إبريق العصير.. فتذمرت:

ـ لا.. أريد شيئاً فيه مياه غازية.

تنهد ميتش وأشار إلى الساقي وبينما كان الشاب الصغير يتقدم نحو الطاولة، تابعت كاندي الكلام:

ـ لقد قررت أن أشد اللجام على تلك الحفلة الموسيقية ميتش.. أعرف أن لديكم أنتم الاوستراليين حضارة رائعة لكنكم لستم بحاجة إلى حشرها في حلقي.

أحنى ميتش رأسه بابتسامة مهذبة أخرى: «أنت على الأرجح متعبة جداً».

انحنت إلى الأمام تحاول لفت انتباهه إلى جمال جسدها المكشوف الملوّح بالشمس.

ـ جاهدت كثيراً في محاولة إنقاذ مقعدك ميتش.. لقد تحدثت مع جوي مرة أخرى اليوم.. كانت الساعة السادسة صباحاً في لوس انجلوس ولم يكن سعيداً للمكالمة.. لكنه كان الوقت الوحيد الذي كنت أظن أنني سأجده فيه حتماً.. كنت أحاول أن أدفعه ليمنحك بضعة أيام أخرى ترتاح فيها.

لم يرد ميتش.. كان يرى غرايس واقفة في مدخل المطعم متجهمة وهي تتطلع نحوه.

لوّح لها بيده، وهو يحاول أن يكتم الغصة لتلك المفاجأة.. كانت غرايس ترتدي فستاناً بسيطاً بلون أسود مخطط بالأبيض، ينسدل بنعومة على جسمها. وابتسم لها.

سمع صوت كاندي وقد شدت غرايس اهتمامه: «هذه سكرتيرتك الصغيرة.. أليس كذلك؟ ماذا تفعل هنا؟».

تمتم بحدة من زاوية فمه: «إنها على موعدٍ معي».

ـ أوه، ما أطرف هذا!.. سيكون مفيداً لي أن أعرف المزيد عن موظفيك.

وبدا لميتش أن اللكنة الفولاذية في صوتها، تحذير مبطن.

كانت غرايس ممتنة بانشغال رئيس السقاة في المطعم بزبون آخر. فهي بحاجة إلى لحظات تجمع فيها شجاعتها وتفكر كيف ستبدو لو أنها استدارت وخرجت من الفندق.. منظر كاندي سوريل تتحدث بحميمية إلى ميتش، أفسد لها شهيتها للطعام، ودفعها لتتساءل عما أصاب عقلها في الأيام القليلة الماضية.. هل أصبحت بلهاء إلى درجة أن تتصور ميتش يريد أن يتعشى معها لوحدهما؟

منذ ترك شقتها ليلة أمس استولى عليها اليأس، وطوال اليوم كانت تشعر بأن ليس لديها أي رغبة في أن تتكلم معه مرة أخرى.. حين برزت دعوته بين رسائل البريد الاليكتروني.. أخذت تفكر فيها لبعض الوقت. أخيراً قررت أن من المهم تسوية الأمور بينهما بشكل صحيح..

نظرت إلى طاولته مجدداً، وتنهدت.. لن يكون بينهما حديث صريح في

هذا الثلاثي الصغير.. ومدت يدها إلى حقيبتها لتأخذ مفاتيح سيارتها.. من الأفضل أن تغادر الآن.. ولن تهتم كاندي.. أما ميتش...

كان ميتش يرتدي سترة رياضية كحلية وقميصاً ثلجياً أبيض، ويقف على رجليه، وعيناه ثابتتان بقوة عليها.. ذاب قلب غرايس عندما رأت تعابير وجهه وانشداده إليها فتلاشى ترددها وأعادت المفاتيح إلى مكانها.

تقدم خطوة نحوها.. فأسكرتها نظراته القاتمة وبدأت تشق طريقها في الغرفة.

وفي وقت متأخر للعودة رأت كاندي تمد ذراعها النحيلة التي لوحتها الشمس لتمسك مرفق ميتش، وتستحوذ على اهتمامه. كان من الواضح أنها تحثه على العودة إلى مقعده لتشاركه بحديث مثير.

وما إن وصلت إليهما حتى تحولت مشاعر غرايس الثائرة إلى الغضب، خاصة بعدما تجاهلتها كاندي بوقاحة.

كانت كاندي تقول بصوت مرتفع: «أنا أستمر في القول لجوي إنك ترغب جداً أن تكون الرابح.. ولقد عملت معك قبل الآن.. وأعرف ما يمكن أن تقدم حبيبي».

وقفت غرايس، فصمتت كاندي لتأخذ نفساً.

وقفز ميتش واقفاً من جديد.

ـ غرايس.. شكراً لمجيئك.

ومد يده إليها بشكل جاد تقريباً. وقال بقلق:

ـ والآن.. خذي مقعدي ريثما أستدعي ساقياً ليحضر لي مقعداً.

بعد انتهاء التحية والسلام جلس الثلاثة في مواجهة بعضهم بعضاً.. نظر ميتش إلى غرايس وعيناه تحكيان أموراً كثيرة.

ـ لقد أعادت كاندي ترتيب برنامجها المسائي كي تتمكن من الانضمام إلينا.

أجبرت غرايس نفسها على الابتسام: «ما ألطف هذا!».

وهزت رأسها لكاندي.. كانت على الدوام تكره الصمت المرتبك الذي

يتبع عادة المقدمات.. لو تعلق الأمر بها فلن تجد شيئاً تقوله.. والآن.. ماذا؟

تلقت الرد بأسرع مما تصورت. إذ قالت كاندي بحماس مبالغ فيه:

ـ ما أروع أن تكوني هنا، لقد قال لي ميتش إنك سكرتيرة كفؤة جداً.. هل حملت معك دفتر ملاحظات وقلم؟ قد يكون هناك بضع نقاط نثيرها الليلة يرغب ميتش أن يسجلها.

على أية درجة يمكن للدم أن يغلي؟ ولم تستطع غرايس إخفاء سخطها.. وانطلقت عيناها إلى ميتش وهدأت قليلاً لرؤية الصدمة والحرج في تعابير وجهه. ورد عليها بسرعة:

ـ أشك في أن يكون هذا ضرورياً كاندي.. غرايس دعيني أسكب لك قليلاً من العصير المنعش اللذيذ.

لكن نظرات الصدمة في عيني غرايس لم تكن بالصدفة. فقد تلقت تحدياً، وارتفع ذقنها وهي تقرر أن تلعب لعبة كاندي. كانت دائماً تحمل أوراقاً وقلماً في حقيبتها، فأخرجتهما وقلبت الأوراق إلى صفحة بيضاء، وجلست والقلم فوق الورق وكشرت عن أسنانها في وجه كاندي وقالت بلطف:

ـ هيا آنسة سوريل.. أنا مستعدة لتسجيل الملاحظات.

بدا الارتباك على كاندي، لكن بعد رشفة من شرابها قالت:

ـ هذا جيد.. شكراً لك عزيزتي.. والآن ميتش.. أين كنا؟

قال بحزم: «كنا سنطلب الطعام.. وسنترك العمل جانباً لفترة».

التقط لائحة الطعام وبدا يتمعن فيها بدقة.

هزت كاندي كتفيها بخيبة وأمسكت قائمة الطعام بسرعة، ثم تمتمت: «سآخذ سلطة «القيصر» فقط».

ما إن أخذت الطلبات، حتى تكلم ميتش بشكل عفوي.

ـ سمعت أن جزيرة «ماغناتيك» مكان رائع.. وهي لا تبعد سوى مسافة قصيرة بالعبارة عن تاونسفيل.. ربما نستكشفها في نهاية الأسبوع؟

صاحت كاندي: «ألم يكفكما استكشافاً في البرية لهذا الأسبوع؟».

وتحولت عيناها إلى غرايس:

ـ لن يتحمل أنف غرايس المسكين المزيد من الشمس.

ابتسمت غرايس ابتسامة باهتة.

وتابعت كاندي: «حقاً ميتش، كل هذا التجول لرؤية المناظر، الحفلات الموسيقية، المسرح، أنا لست هنا في إجازة.. يجب أن نركز على العمل».

انحنت إلى الأمام مجدداً.. ولم تستطع غرايس إلا أن تتساءل عما إذا كان الجزء البارز من ياقة ثوبها زائف مثل لون شعرها ورموش عينيها.

ـ والرسالة التي أتيت بها من شركتي لك..

تظاهرت غرايس بأنها تحضر دفتر الملاحظات والقلم: «مهلك لحظة».

قطب ميتش، ونظرت كاندي إليها ببرود، لكنها تابعت:

ـ مشروع «الغد الجديد» هذا سينجح فقط إذا حصلت على دعم «هالي سيبرا» ويجب أن تنهي الاتفاق.. الليلة.. الآن.

رد ميتش بهدوء: «أشك في أن يكون هذا ممكناً».

نظرت غرايس إلى الاثنين.. ماذا تفعل هي هنا؟ هذه لعبة سلطة.. ربما ميتش خطط لهذا العشاء لوضعها في مكانها الصحيح؟ ونظرت إلى كومة الأوراق أمامه.

كانت سخيفة عندما ظننت أنه عشاء لنا وحدنا..

أخذت تحفر خطوطاً حادة بيدٍ متوترة على الورق. وبدأت كاندي تحتد:

ـ هل تحاول اللعب معي ميتش؟ اسمع.. إذا انضممت إلى المجموعة، فسيوافق جوي، وسيكون المال لك ما دمت تقبل بشروطنا.. كل ما نطلبه منك واحد وخمسون بالمائة والحق الحصري للتوزيع العالمي.

صاح ميتش وهي تتلفظ بالأرقام: «واحد وخمسون في المائة..».

نظرت كاندي إلى غرايس، فأعادت غرايس نظرها باتجاه الورق، ومدت لسانها قليلاً وكأنها تركز على مهمة تسجيل الملاحظات الصعبة.

تنهد ميتش الذي بدا عليه التوتر:

ـ تعرفين أنني مستعد فقط لدفع عشرين بالمئة. ثم هناك بقية الشروط.. إنها مرتفعة جداً كاندي.

أحست غرايس بغضب شديد، وأنها في غير مكانها، وسُمعَ صوت قلمها وهي تخط على الورق، وقالت: «هل ترغبان في أن أسجل هذه الشروط؟».

علا احمرار كثيف وجنتي ميتش وعبس بغرايس:

ـ غرايس.. ماذا تظنين أنك تفعلين بحق الله..؟ لا تكوني غبية.

حركت رموشها بسرعة ونظرت في وجهه، ثم وقفت وهي تغلي غضباً.. وردت ببرود: «أنا لا أفعل شيئاً في هذه المناسبة».

ثمة حد لتتحمل قساوة الرجل وعجرفته! ليس من مدة بعيدة، دعاها هنري بالغبية.. والآن ميتش. تعرف أن لديها عدة مساوىء، لكن الغباء ليس واحداً منها.

وفيما كانت واقفة رأت تعبير وجه ميتش مقلقاً، فخاطبت كاندي:

ـ أنا آسفة لو تركتما هكذا.. لكنني أرى أن هذه الأمسية اجتماعية فقط.

ودون أن تدرك مدى قساوة ما تفعل، رمت دفتر الملاحظات والقلم على الطاولة أمام كاندي:

ـ سأترك لك هذه، في حال احتجت فعلاً لتسجلي شيئاً.

وارتدت على عقبيها بسرعة حتى كادت تصدم الساقي الذي كان يحمل وجبة الطعام.

ناداها ميتش باسمها، لكنها لم تلتفت إليه.. وشقت طريقها بين الطاولات وهي تحبس دموع الإحراج في عينيها.. وما إن وصلت إلى فناء الفندق الرخامي الواسع، حتى كان ذقنها يرتجف.

تناهى إلى مسامعها وقع أقدام مستعجلة.. لكنها رفضت مرة أخرى، أن تستدير.. فلا شيء سيدفعها للعودة إلى تلك الطاولة.

رفعت رأسها تحديا إلى الأعلى، وأكملت طريقها تنزل السلم العريض، وكأنها سندريلا تهرب من الحفلة الراقصة. وتابعت السير في الممر المضاء بأنوار خفيفة، وما إن وصلت إلى السيارة حتى أدركت أنها لم تعد تسمع وقع الأقدام.. ونظرت إلى الخلف.. فلا أحد يلحق بها. فجأة، أحست بخيبة أمل.. وتنهدت وهي تشعر بجرح عميق ثم بكت.. ماذا كانت تتوقع؟ صلح خرافي خيالي مع ميتش تحت النجوم الاستوائية؟ هيا اغرقي في أحلامك! ميتش يركز الآن على المال والسينما، السلطة والشهرة وليس على الحب.

فتحت باب سيارتها، ورمت نفسها وراء المقود، وأقفلت الباب مجدداً بقوة، وما إن أطبقت يداها على المقود، وأراحت رأسها عليهما حتى أحست بوجهها ساخناً ومبللاً.. فماذا جرى لها بحق الله..؟ لطالما كانت هادئة وصلبة أمام المصاعب.. ولقد تفاخرت بقدرتها على حل المشاكل.. أو على الأقل، ظنت أنها راشدة بما فيه الكفاية لتتكيف مع الظروف المتغيرة.

لكن رئيسها الجديد الذي حلّ في حياتها العملية.. شتت أحاسيسها

سمعت صوت حذاء مرتفع فوق الحصى. فحدقت في الظلام بعيون بللتها الدموع.. وانفتح بابها.

انحنى ميتش غاضباً لينظر إليها: «غرايس.. ماذا تظنين أنك تفعلين؟».

لم يكن هناك الأمير الساحر الباحث عن حبه الضائع.. بل مجرد رئيس غاضب. كبتت غرايس غصة ألم وبكاء، وتمنت لو أنه لا يرى في الظلام وجهها المبلل بالدموع.

ـ ما خطبكن أنتن النساء؟

صاحت: «أنا لا أفعل شيئاً.. لكنني لا أستطيع أن أشهد دوافع كاندي سوريل».

هز ميتش رأسه: «اتركي كاندي خارج موضوعنا للحظات».

ـ بكل سرور. ظننت حين دعوتني إلى العشاء، أنك تريد أن تتحدث إليّ.

تنهد مجدداً بدل أن يرد، ثم أسند ظهره إلى جانب السيارة، وأخذ يتأمل سماء الليل الصافية.. وانتظرت غرايس أن يتكلم.. كانت تسمع في مرفأ قريب محرك مركب يبدأ بالدوران، ورأت كيف كان نسيم البحر يرفع شعر ميتش الأسود.

ليس من العدل أبداً، وفي نور القمر، أن يبدد حلم كل امرأة.. كيف يمكن لرجل أن يكون متعجرفاً هكذا وفي الوقت عينه كالحلم؟

أخيراً قال: «أريد بالتأكيد أن أتحدث إليك على حدة».

ـ إذن ماذا تفعل كاندي على طاولتك؟ ولماذا لم تتخلص منها؟

دس يديه في عمق جيبي سرواله:

ـ ليس الأمر بهذه السهولة.. لا أستطيع إبعادها هكذا.

ـ لا تستطيع أم لا تريد؟

قال بهدوء: «لا أستطيع، ولن أفعل».

استدار، ولم يكن على وجهه ابتسامة بل مجرد عبوس وكآبة لم تستطع أن تخفي طابع الحقد والمرارة من ضحكتها.

ـ هل ستكون أنت وكاندي سوريل الاتفاق الخفي في العقد مع «هاي سيرا»؟

ضرب جانب السيارة بكفه:

ـ لقد تماديت كثيراً.. كيف تراودك هذه الفكرة المجنونة؟

مرة أخرى ضحكت غرايس، ثم انتابتها سعلة متقطعة وأدركت أنها استدرجته بالحديث إلى منطقة خطرة.. دون قصد، وقعت في جدال آخر مع ميتش.. لكن فيضان مشاعرها الغاضبة كان قوياً بحيث لم تستطع أن تتراجع..

أخفض ميتش رأسه ليتكلم عبر الباب المفتوح:

ـ عودي معي وتحملي لفترة قصيرة غرايس.. سأحاول الخلاص من

كاندي فيما بعد.

لم تصدق ما تسمع. نظرت إليه، تحاول أن تفهم:

ـ لا أصدق أنني أسمع هذا.. لو كنت تريد الخلاص منها لفعلت هذا منذ نصف ساعة.

ـ أنت لا تفهمين غرايس.. إذا كنت حقاً تحبين عملك، فعودي معي الآن.

أحب عملي؟ ما الذي يجري بحق الله..؟

يجب أن تشعر بالذعر، لكن بدلاً من هذا بدا ميتش مذهولاً.. وهذا أمر أكثر أهمية لبحثه وهي جالسة.. لذا ترجلت من السيارة ووقفت. وهي تضع يدها على خدها والسخط بادٍ عليها.

ـ هل أعود إلى تلك الطاولة؟ كي تحقرني تلك السافلة؟

لماذا لم تخف؟ عملها يعني كل شيء بالنسبة لها.. وبالتأكيد يجب أن تكون هذه لحظة خوف؟ لكن كل ما تشعر به بركان من الغضب يكاد ينفجر.

ـ إذا كانت هذه مواصفات العمل الجديدة التي توصلت إليها مع العزيزة كاندي.. إذن، فقد حان الوقت لأن أقوم بتحرك عمل آخر.

ـ عمّ تتكلمين؟

ـ عمّ أتكلم ميتش؟ هل يجب أن أملي عليك هذا بالتفصيل؟ إنني أستقيل!

شحب وجه ميتش:

ـ أرجوك غرايس.. لا تفعلي هذا بي. أنا منشغل الآن بأمور كثيرة.. شركتي كلها في خطر.. ولا أعتقد أن لدي وقت للتعامل مع انفعالاتك العاطفية هذه.

وكانت على بعد شعرة من صفعه: «أيها الجرذ!».

وكانت له الجرأة كي يبدو غاضباً: «جرذ؟ أنا.. جرذ؟».

أولاً روجر، والآن ميتش. لم تصدق أن التاريخ يعيد نفسه..

واندفعت الكلمات من الكراهية المريرة المتراكمة بداخلها: «جرذ سطحي، مادي، متسلط».

وليذهب كل الرجال إلى الجحيم!

ـ أنت لا تهتم بي أبداً.. إلا.. كسلعة مفيدة.

امتدت يداه إليها: «غرايس.. لا تبالغي في ردة فعلك».

لكنها تراجعت إلى الخلف لتبتعد عن ملامسته.

ـ أعتقد أن عقدي يستلزم شهر إنذار.. ولقد بدأ هذا الشهر منذ الآن.

جلست وراء المقود وأمسكت قبضة الباب تقفله.. وصفقته بوحشية، حتى كادت تؤذي ميتش.. وصاح.. «أنت لا تفهمين».

دست المفتاح في أداة تشغيل المحرك، متجاهلةً احتجاجه، ودفعت قدمها على دواسة السرعة، وتحركت بالسيارة لتخرجها من الموقف وهي تهدر، وفي المرآة رأت ميتش مذعوراً أبيض الوجه.

وقالت لنفسها.. جيد.. أخيراً سوينا الأمور بيننا.

***

١٠ ـ قلب شاغر

كان المغلف المختوم، الواضح الهوية، بشعار «تروبيكانا» الأخضر والأزرق، ينتظر غرايس على مكتبها حين عادت من جلسة تناول الشاي الصباحية.. كانت تتوقع أن يرد على رسالة استقالتها، لكن هذا لم يمنع معدتها من الانكماش، حين رأته.. منذ أن خرجت من الفندق ومن موقف السيارات منذ بضعة أيام، كانت في داخلها تتلوى وتتألم.

أخذته بيدين مرتجفتين، ثم فتحته بسكين الورق.. حين أخرجت محتوياته، ارتجفت يدها بقوة ولم تستطع قراءة الكلمات. هذه سخافة.. أغمضت عينيها، وأخذت نفساً عميقاً.. فقط اقرئي الرسالة ثم خذي سبيلك في الحياة!

وضعت الورقة على المنضدة، وأخفضت نفسها إلى المقعد.. ببطء فتحت الورقة، ثم قرأتها بعناية:

تروبيكانا فيلم
مركز نورثاون
فلندرزمال

٨ تموز.

العزيزة الآنسة روبنز.

بناء على طلبك، أرد على رسالة استقالتك برد مكتوب.. وألحظ أن قرارك بترك الشركة غير مشروط، ولست على استعداد لمناقشة أية عروض بديلة لمعاودة خدماتك. وبالطبع، ليس أمامي بديل سوى أن أقبل

استقالتك. على أي حال، أفعل هذا على مضض.. وأنت تعرفين شروط عقدك الذي يتطلب إنذاراً لمدة أربعة أسابيع من أحد الطرفين، وأنا كمدير إداري أرغب أن تتابعي واجباتك حتى السادس من آب. فأنت تعلمين أن مستقبل مشروع «الغد الجديد» سيتقرر في غضون الأسابيع القادمة.. ومن المهم أن يشارك جميع العاملين في هذا المشروع الهام، وأن يفرّغوا أنفسهم لهذه المهمة بطريقة مهنية.

عملك، كمساعدة شخصية للمدير الإداري، كان حتى قرارك المفاجيء بالاستقالة، التي أتت في غير وقتها، كان دائماً في أعلى المستويات المهنية.. وأنا أحتاج إليك لتحافظي على هذا المستوى من الالتزام في الأسابيع الأربعة القادمة قبل أن تتركينا.

م.ج. وينتويرث
المدير الإداري

قرأتها مرتين، ويدها على فمها والأخرى على صدرها الذي ينتفض بسرعة.. هذه هي إذن.. نهاية الوظيفة التي أحبتها. ووداعاً للرجل الذي تصورت لفرط غبائها أنه يحبها!

أغمضت عينيها تحاول حبس دموعها، لكن ذكريات نار المخيم، والنجوم، والابتسامة المثيرة، ملأت خيالها. وضغطت على شفتيها لتبلع غصة بكاء مريرة.. إنها تتألم كثيراً.. وتريد أن تهرب.. الآن.. أن تخرج من المكتب.. إلى خارج نورث كوينزلاند.. إلى أي مكان تجد نفسها فيه حرةً وبعيدة عن هذه الأجواء.

خاطبت مكتبها الفارغ «لكنه لن يتركني أرحل! ليس بعد.. يجب أن أبقى هنا لأربعة أسابيع أخرى».

عندما سمعت طرقات على باب المكتب التفتت فرأت ماريا واقفة بالباب ويداها مليئتان بالأوراق والقلق في عينيها الواسعتين.. وقالت بتردد:

ـ لقد حملت إليك هذه الأوراق المطبوعة التي طلبتها.

نفخت غرايس أنفها، ورمشت. آملة أن لا يبدو على وجهها أثر للبكاء.

ـ هذا عظيم.. شكراً لك.

مدت يدها لتأخذ الأوراق وهي تحاول إخفاء رسالة باليد الأخرى، لكنها عرفت أن ماريا ضبطتها.

وجاء سؤال صديقتها: «لقد سمعت خبراً من الرئيس.. أليس كذلك؟».

هزت غرايس رأسها:

ـ لن يتركني أغادر فوراً.. يجب أن أعمل لأربعة أسابيع، وهي فترة الإنذار المنصوص عليها.

ـ ذلك المتوحش الفاقد الإحساس.

ـ قدّم لي مديحاً عالياً عن كفاءتي المهنية.

التقطت غرايس المذكرة التي تلقتها في اليوم السابق، والتي يحدد فيها المهمات التي يجب أن تنجزها..

ـ إذا كان يريد الالتزام المهني.. فسيحصل عليه. وإذا فشل المشروع، فلن يكون السبب أي عمل قمت به أنا.. بل ذلك سيعود إلى غرور ميتش وينتويرث الزائد.

همستها ماريا: «هذه طريقة رائعة.. أظهري له ما عندك.. وسيتلقى صدمة كبيرة حين يريد أن يستبدلك».

تنهدت غرايس: «أشك في هذا».

تراجعت في كرسيها إلى الوراء، وبدأت تعبث برسالة ميتش.

قالت ماريا: «إنه مشغول جداً بكاندي تلك.. ولن يكون منتبهاً إلى ما تفعلين.. الأبله المسكين لا يعرف شيئاً.. لكن بعد أن ترحلي غرايس.. سيجد ميتش العظيم نفسه واقفاً وسط موقع فارغ وعلى وجهه نظرة حيرة... يحك مؤخرته الظريفة».

ـ آنسة كاثالير؟

أقفلت المرأتان فجأةً فمهما لأنهما رأيا رجلاً على الباب..

وتبدل وجه ماريا في ثلاث درجات من اللون الأحمر، حتى وصل إلى اللون القرمزي:

ـ سيـ.. سيد وينتويرث؟

أشار ميتش برأسه نحو مكتبه بوجه متجهم: «كلمة لو سمحت».

ـ حاضر.. سيدي.

ـ في مكتبي، سأكون معك بعد لحظة.

نظرت ماريا إلى غرايس نظرة المذنب وتراجعت إلى خارج الغرفة، وقبل أن تكمل سيرها في الممر توقفت خلف ظهر ميتش، وأشارت إلى غرايس إشارة الذبح على عنقها.

تحت ظرف آخر، كان يمكن لغرايس أن تبتسم. لكن، ليس مع بقاء ميتش في المكتب، متجهم الوجه، أعصابه مشدودة ومتوترة.

قال بأمرها بحدة: «أحتاج إلى لائحة بكل أرقام رجال الأعمال».

ردت وهي تجهد أن يأتي جوابها لائقاً وعملياً: «لن يستغرق هذا طويلاً.. لقد وضعت كل هذا في ملف».

توقعت أن يهز رأسه احتراماً ويتركها، لكن حين بقي واقفاً إلى جانب كرسيها، وعيناه الجامدتان مصوّبتان عليها، ضغطت أصابعها المرتجفة على ركبتيها.

قال ميتش بصوت ناعم: «أنا مرتبط بعدد من الاجتماعات المالية في الوقت الحاضر.. لكن حين تنتهي هذه الأمور، نحتاج أن نتحدث».

ابتلعت ريقها: «لبحث مسألة وصول الممثلين وبدء عملية التصوير؟».

تنهد ميتش ومرر أصابعه في شعره دلالةً على نفاد صبره:

ـ لا غرايس.. لا أريد أن أناقش عملنا في الفيلم.

ردت بلهجة عنفوانية: «أوه؟».

لثانية أو اثنتين، رأت وميض ألم في عينيه السوداوين العاصفتين.. تتجر قلبها ألماً لأنه بدا لها متألماً ووحيداً!

دون سابق إنذار، أحنى رأسه وعانقها عناقاً سريعاً خطف أنفاسها.

وتمتم في أذنها: «لدينا أعمال أخرى لم تنته بعد».

ثم استدار.. وخرج.

قامت غرايس بما في وسعها لتنسى ذاك العناق الخاطف الذي خطف أنفاسها. ولكن هذا العناق زاد من عذابها.

اللعنة على الرجل! إذا ظنّ ميتش أنه يستطيع قبول استقالتها، ومع ذلك يأخذ حريته في استخدام جسدها فهو في طريقه ليلقى مفاجأة.. ! ومذ ذاك الحين حرصت أن تبقى منهمكة في العمل، مقتنعة أن العمل الشاق هو الشيء الوحيد الذي يقف بين تعقلها وانهيار أعصابها. وساعدها على هذا أنها لم تكن ترى رئيسها إلا قليلاً.. إذ هو في الغالب مع كاندي وفي بعض الأحيان مع محاسبي الشركة مجتمعون لنقاشات لا تنتهي خلف أبواب مغلقة.

طوال اليوم كانت غرايس تعمل في المكتب حتى الإرهاق، وفي المساء كانت تقرأ كتيبات عن السياحة إلى ما وراء البحار.. فهي بحاجة ما إن تترك عملها هذا، أن تبتعد قدر المستطاع عن ميتش ج. وينتويرث.

ربما يجب أن تجد مدينة كبيرة تختبيء فيها. «بوينس أيرس»؟ طوكيو؟ نيويورك؟ لكن هناك فرصة أن تلحق بها ذكرياتها إلى هناك.. وهل ستقفز مسافةً في كل مرة ترى فيها رجلاً طويلاً ووسيماً؟

أخرج رنين مجوهرات قريب غرايس من أفكارها. فرنين صوت أسورة كاندي أصبح الآن شهيراً في المبنى كله.

عندما اقترب الصوت، رفعت غرايس رأسها لترى كاندي تمر ببابها تاركة خلفها أثر غمامة عطرها.. قالت وهي تجلس على كرسي: «جئت فقط لأقول وداعاً».

اتسعت عينا غرايس: «حقاً؟ لم يكن لدي فكرة أنك مسافرة بسرعة».

وأدهشها كذلك أن تزعج هذه المتكبرة نفسها لتودعها شخصياً.

وضعت كاندي ساقاً فوق ساق، وأخذت تلوّح بقدمها:

ـ لقد مضى على وجودي هنا أسبوعاً حبيبتي.. ولقد أنهيت عملي.

سألت غرايس: «وهل كان ناجحاً؟».

جمدت عينا كاندي، وتوقفت عن التلويح بقدمها.. وبدت كالخشبة أو كتمثال في واجهة محل.. ثم رمت غرايس بابتسامة مشرقة.

ـ حسب الوصف العملي.. كانت فاشلة تماماً.

ـ فاشلة؟ لست أفهم.

ـ الأمر بسيط.. عدا عن سعادتي الشخصية في لقائي مع صديقنا المشترك، ميتش.. كانت رحلتي إلى هنا مهزلة.. فرئيسك الحبيب كان يتلاعب ألاعيب مالية معي.. ولقد ربح، وخسرت.. وانتهت القصة.

تسارعت نبضات قلبها عندما بدأت كاندي تهز بقدمها كرقاص الساعة مرة أخرى.

ـ لم أفهم جيداً.. أعتقد أن هذا يعني أن «هاي سيرا» لن تعطي «تروبيكانا» أي دعم مالي، فكيف يجعل هذا ميتش رابحاً؟

مالت كاندي إلى الأمام:

ـ لأنه عقد صفقة أفضل، غرايسي.. كان يُجري مفاوضات أخرى من وراء ظهري.. ولقد لعب ورقته الرابحة، وسيحصل على كل التمويل الذي يحتاج إليه من مفوضية كوينزلاند للأفلام.

ـ واو! هذا ممتاز!

وفي لحظة تهور نسيت غرايس تماماً أنها لم تعد جزءاً من الشركة.. وكل ما استطاعت التفكير فيه هو أن ميتش سيكون الآن مرتاحاً لحصوله على بقية المال الذي يحتاج إليه، وحسب شروطه هو.

هزت كاندي رأسها متجهمة: «لقد وافقت المفوضية على إعطاء تروبيكانا المال إضافة إلى الكثير من حملات الدعاية.. إنهم يشعرون بالإثارة لأن الفيلم أوسترالي مئة بالمئة ولأنه يصور في مواقع هنا في نورث كوينزلاند».

وافقت غرايس معها: «أعتقد هذا».

وقفت كاندي على قدميها، وبدأت تدور في الغرفة: «حاولت أن أقول

لرئيسي في «هاي سيبرا» إنه مجنون لتمسكه بواحد وخمسين في المائة، في الوقت الذي لم يكن فيه ميتش على استعداد للمفاوضة على أكثر من عشرين. . حاولت جهدي لإقناع جوي أن ميتش ليس غبياً وأن من الأفضل أن يتمسك بالعشرين في المائة لأنها نسبة جيدة من عمل ناجح كبير».

ـ يدهشني أن تهدري وقتك لتبلغيني كل هذا. تعرفين أنني لن أبقى في هذا المشروع. . أليس كذلك؟ لقد قدمت استقالتي.

توقفت كاندي من التجول في الغرفة وجلست في صدر المكتب:

ـ أجل، وأردت أن أقول إنك حكيمة جداً لتركك هذه الشركة.

ارتبكت غرايس وتصاعدت موجة احمرار على وجهها. . لماذا تستحسن كاندي استقالتها من مشروع ناجح؟ إلا إذا. . .

ـ ولماذا أنت مهتمة أين سأعمل؟

لفت كاندي ذراعها حول صدرها، وضاقت عيناها:

ـ نحن الفتيات، يجب أن نتعاضد.

تمتمت غرايس بارتياب: «هكذا إذن».

ما كانت تشك فيه، أن كاندي تحب ميتش كثيراً. . فالأميركية لم تخف سراً بأنها معجبة برئيسهم الرائع. . والمكتب كله يعرف بالأمر. .

وأخذت غرايس تتلاعب بقلم على طاولتها: «وهل أفهم من هذا كذلك أنك قد تكونين. . مهتمة. . بالسيد وينتويرث؟».

رمت كاندي نفسها مجدداً في الكرسي قبالة غرايس متنهدة، ووضعت ساقاً فوق ساق وبدأت تؤرجح قدمها مرة أخرى.

ـ سأكون صريحة إلى حد الوحشية معك، غرايسي.

نفثت كاندي الهواء كما ينفث المدخن أنفاس سيكارته:

ـ أنا وميتش وينتويرث نعرف بعضنا بعضاً منذ زمن طويل.

وتساءلت غرايس: أين ذهبت قدرتها على التنفس؟ فقد أحست بصدرها يضيق بشدة.

تابعت كاندي: «كان بيننا دائماً. . تفاهم مميز».

تظاهرت غرايس بالنظر إلى أظافرها، ثم قالت بصوت مرتجف:

ـ وتلك العلاقة المميزة التي تدعينها، لم تساعدك في إتمام الصفقة معه؟

ضحكت كاندي ساخرة من نفسها:

ـ العمل والعلاقات الخاصة لا يتمازجان. لكنك تتفهمين هذا. . أليس كذلك غرايسي؟

حاولت غرايس قدر الإمكان أن تفهم مضامين سؤال كاندي. . وبدت الأرض من تحتها تتأرجح وتميد.

ـ ليس بيني وبين ميتش. .

ـ توقفي هنا. . حبيبتي. ولا تحتجي كثيراً. . لقد رأيت كيف تنظرين إلى رئيسك. . وتذكري أنني أعرف الولد العزيز منذ زمن طويل جداً. . وأعرف مواطن ضعفه.

أوقفت كاندي قدمها عن التأرجح وسط الهواء واستخدمتها لتشير بها إلى غرايس:

ـ لا تظني إنني ألومك للاستفادة إلى أقصى حد من فرصة ذهبية.

ـ ماذا تعنين بحق الله. . ؟

ـ ضياعك المتعمد مع ميتش وسط الأدغال كان أمراً ظريفاً. . ظريفاً حقاً.

قفزت غرايس واقفة مذعورة:

ـ أتعتقدين أنني خططت لهذا؟ أنني خاطرت بحياتي لمجرد أن. . لمجرد أن. .

ـ لتسعي إلى ما تريدين مع رجل مثل ميتش؟

ابتسمت كاندي ابتسامة لئيمة: «كان هدفاً يستحق المخاطرة. . أليس كذلك؟».

انقبضت يد غرايس، وفي لحظة جنون كادت تنطلق يدها إلى أنف كاندي سوريل لتحطمه لكنها حرصت على الرد بصوت حاد وثابت:

ـ ماذا تحاولين أن تحققي بمحاولة نبش هذا التراب؟

ارتفع حاجب المرأة الأخرى: «أوه حبيبتي.. أنا أقدم لك نصيحة أخوية مهما كان ميتش رائعاً حين كنتما بمفردكما في البرّية، فقد أظهر مشاعره الحقيقية بقبوله لاستقالتك، دون أن يتذمر.. لا ترهقي نفسك بالركض وراء الرجل عزيزتي فما حدث لا يعدو أن يكون بالنسبة لميتش زوبعة في فنجان لأن علاقته بشخص صغير مثلك لن تكون أبداً جادة».

بعد ذلك غادرت كاندي المكتب تاركة غرايس جامدة في مقعدها، تحدق في الفراغ.

سجلت أذناها صوت كعبي حذاء كاندي العاليين يتصاعد في الممر.. وفي مكان ما، رن جرس الهاتف.. لكن كلمات كاندي كانت تتردد كالصدى مرات ومرات في رأس غرايس «لأن علاقته بشخص صغير مثلك لن تكون أبداً جادة»..

عرفت أن هذا صحيح.. وهذا ما قالته لنفسها أكثر من مرة.. ورغم كل ما حدث عند البركة، فميتش لا يهتم بها شخصياً.. ولقد أثبت هذا بالتخلي عنها والاتجاه إلى كاندي.

تعرف أنها لن تجد رجلاً آخر على وجه الأرض قادراً على أسر قلبها وروحها، كما فعل هو بالكامل.. ولكنها تعرف أيضاً أن استبدالها أمر سهل عليه.

كل ما عليه أن يفعل، هو أن يضع إعلاناً في صحف البلاد الرئيسية بأن مركزها شاغر.

***

١١ ـ هل نتحدث عن الحب؟

حين جرّت نفسها إلى المكتب في الصباح التالي، كانت غرايس تشعر بإرهاق عاطفي... ما روعها وأبقاها مستيقظة طوال الليل، كان الإحساس الفظيع بزيارة الماضي.. واكتشاف، مرة أخرى، موهبتها المؤكدة في الوقوع بحب الجرذان.

لقد قضت الأسبوع المنصرم بقلق بسبب اهتمام كاندي بميتش.. ولكن جزءاً منها كان يأمل بأن تكون مخطئة في شأن علاقة ميتش بكاندي، فلعل كان ميتش يلاطف كاندي ليحصل على الصفقة.. لكن كاندي أوضحت تماماً كم كانت علاقتها حميمة مع ميتش وهذا لم تستطع احتماله.

حاولت أن تفسر ادعاءات كاندي على أنها مجرد غيرة.. لكن ذكريات عمرها ثلاث سنوات أعادتها إلى الواقع.. وعاد كل الألم ليتدفق مجدداً. لقد كانت واثقة كل الثقة أن روجر يحبها، ومع ذلك، لم تأخذه بها شفقة أو رحمة حين رماها جانباً لأن هدفه الأساسي كان الوصول إلى القمة في عمله.. الآن، تعلمت الدرس. لقد خدعت يوماً برجل ناجح، وسيم، مثير، وحطمها.. ولن تدع هذا يحدث مرة أخرى.

جعلها صوت وقع أقدام حادة ترفع رأسها، وتأوهت بصوت منخفض عندما رأت الجرذ الموجود في حياتها يدخل متجهماً عبر باب مكتبها.

قال بصوت خشن: «غرايس».

ـ نعم.. سيد وينتويرث؟

قطب وكرر، وكأنه يبرّر استخدامه لاسمها الأول:

ـ غرايس . . هل نجرب العشاء معاً مجدداً؟

وقعت كومة الأوراق التي كانت تحملها من يدها فتبعثرت على الأرض.

وهمست: «أوه . . لا».

وانحنت تلملم الأوراق.

لكن سرعان ما أحست بيده على ذراعها تمنعها من ذلك.

ـ سألتقطها أنا.

التقط الأوراق بنفاد صبر ورماها على طاولتها: «حسناً؟».

ـ العشاء؟ حباً بالله . . ميتش . . لماذا؟

فغر ميتش فاه وكأنه لا يصدق ما يسمع:

ـ لدي فكرة غامضة أننا نستطيع أن نجلس على طاولة لتناول الطعام وأتوقع أن تجري بعد هذا عملية الهضم . . الفكرة . .

قاطعته متمنية لو تجلس، ففي أية لحظة قد تنهار ركبتاها:

ـ السخرية لا تلائمك.

ـ لا؟ أنا آسف إذن . . لقد عشت أسبوعاً فظيعاً لذا أغاظني سؤالك. لماذا بحق الله . . لا نتناول العشاء معاً؟ نحن نحتاج أن نتكلم.

لاحظت غرايس ساعتها كم يبدو شاحباً ومتعباً، فغار قلبها وحاولت إخفاء يديها المرتجفتين.

ـ ميتش . . أنا . . سأترك العمل قريباً . . فهل تعتقد أن من الحكمة أن نجتمع معاً مرة أخرى؟

لانت تعابير وجهه قليلاً:

ـ أنا أعتقد أنه من غير الحكمة أن نفترق دون فرصة ملائمة لمناقشة . . كل شيء.

أوه . . لماذا تشعر بهذا الضعف؟ لم تجد أن هناك ما هو أروع من العشاء معه . . صورة ميتش وهو يرافقها في مطعم مميز إلى طاولة في زاوية حميمة لشخصين تراقصت في مخيلتها . . وتصورته وهو يبدو مذهولاً، يسحب لها

الكرسي لتجلس مبتسماً.

زمّت شفتيها معاً بقوة، خشية أن تصرح باندفاع عن رغبتها بالدعوة . . وأجبرت نفسها على التفكير بالألم الذي سببه لهاما كشفت كاندي عنه.

تابع: «قيل لي إن هناك مطعماً في حديقة ما في ساوث تاونسڤيل . . فهل نجتمع مساء الغد؟».

ـ أنا . . مشغولة مساء الغد . . أريد أن أتسوق.

دس ميتش يديه في جيبي بنطلونه، وأخذ يتأرجح على عقبيه: «عليك أن تختلقي عذراً أفضل من هذا».

ـ ميتش . . لا أعتقد أن علينا أن نخرج معاً.

ـ يجب أن تخرجي معي غرايس . . أعرف أن من سوء الحظ أن أنتظر سفر كاندي.

يا إلهي! كيف يمكنه أن يتكلم بمثل هذا الهدوء عن كاندي؟ لا شك أنه فقد ضميره. أدارت رأسها بعيداً، ونظرت بقوة إلى خزانة الملفات تحاول أن تعد إلى العشرة.

ـ تريد مني أن أكمل الطريق من حيث تركتك الآنسة سوريل؟

ـ عفواً؟

سحبت نفساً عميقاً، ثم التفتت إليه مجدداً لتواجهه:

ـ لم يعد هناك ما هو شخصي بيننا لنناقشه.

فتح فمه ليحتج، لكنها تابعت بسرعة لئلا تعطيه الفرصة ليجرحها مرة أخرى.

ـ هل نسيت أنني استقلت وأنني سأخرج بعد مضي ثلاثة أسابيع.

أشارت بحركة من يدها إلى الباب.

ـ وأشك كثيراً أنني سأستطيع أن أهضم العشاء معك.

هز ميتش رأسه بحيرة ظاهرة: «ما الذي يجري هنا؟ لماذا أنت متشبثة بأمر كاندي؟».

متشبثة؟ علاقته الغرامية بامرأة أخرى مسألة ثانوية؟

لهذا الرجل أخلاق الأرانب وعاداتها! تجاهلت سؤاله بشكل كامل:

ـ رأيت شيئاً بالأمس وصل عبر الفاكس عن تقديم موعد البدء في مشروع «الغد الجديد».

ـ غرايس.. لا تغيري الموضوع.

ـ هل هذا صحيح؟ وهل سيكون وزير السياحة والفنون في البلدة يوم الخميس المقبل؟

ـ اللعنة غرايس!

سحبت غرايس نفساً عميقاً.. وضغطت على نفسها لتهدأ.

ـ ميتش. ليس لدي أي موضوع له طابع شخصي أرغب أن أبحثه معك.

ارتفعت يداه وكأنه يريد الإمساك بكتفيها.. وبلحظة شعرت فيها بالعذاب، وقف يواجهها ويداه لا تبعدان كثيراً عن ملامستها.

أكملت وهي تجهد أن يكون صوتها متزناً:

ـ وإذا كنت أريد ترتيب حفل إطلاق الفيلم بعد أيام، يجب أن أعرف بالضبط ما يجب فعله.

وقف ميتش جامداً كتمثال حجري يحدق فيها ثم تنهد بقوة وأنزل نظره إلى السجادة الرمادية على الأرض.. وأخذ يدلك جبهته بيده.

بعد لحظات صمت، رفع نظره إليها مجدداً ليتكلم:

ـ حسن جداً غرايس.. إذا كان هذا ما تريدين، سألعب لعبتك الآن.. لقد تقدمت الحكومة بالتمويل الذي نحتاج إليه.. ولا يريد الوزير أن تفوته فرصة الإعلان عن كرمه أمام الصحافة.. هكذا، نعم، يجب أن نطلق المشروع وهو موجود هنا.

ابتلعت ريقها وهي تحاول إخفاء الغصة المؤلمة.

ـ سيكون تحدياً كبيراً تحضير كل هذا الخميس المقبل.

هز رأسه موافقاً: «أعرف.. لكن مستشاري الوزير والصحافيين يريدون إخطار وسائل الإعلام.. ويجب أن نضع قائمة بالأشخاص المهمين

محلياً لدعوتهم وإيجاد مكان ملائم».

ـ وهل ستجلب أحد الممثلين؟

صعب عليها أن تصدق أنها تتصرف هكذا.. أن تتابع الكلام عن العمل وقلبها يتحطم ببطء.

ـ بالطبع.. فسنحتاج قطعاً إلى نجومنا، لأنهم سيجذبون الكثير من الاهتمام.

ـ سيكون الأمر صعباً.. لكننا سنتمكن من إقامة حدث كهذا في الوقت المحدد.

لكنها كانت تتكلم باندفاع آلي، وكأن رأسها وقلبها غير متواصلين:

ـ واثق أنك ستقومين بأداء رائع كالعادة غرايس.

خطا ثلاث خطوات نحو الباب، ثم التفت إليها: «شكراً لك».

عادت إلى مكتبها، فقد توقعت أن يكمل طريقه ويتركها تتابع عملها بعد انتهاء النقاش.

لكنه بقي مكانه، يراقبها.

ـ غرايس.. كائناً ما يكون الذي قد سمعته عني، أو أي قرار قد اتخذته، أنا في الواقع لست...

ـ أتريد إرسال الدعوات هذا الصباح؟

ضرب بكفه جدار مكتبها:

ـ مم أنت مصنوعة يا امرأة؟ من الخشب المتحجر؟

ليتها كانت كذلك! رفعت ذقنها وقالت له بجرأة:

ـ أنا ضعيفة الإدراك مائة بالمائة ومن الطراز القديم.

تمتم ميتش بشتيمة وخرج من الغرفة.

بعد رحيله، نظرت غرايس إلى المدخل الفارغ، وهي تشعر بأن أحاسيسها كلها قد تخدرت. لماذا ميتش غاضب هكذا؟ كيف يتوقع مني أن أخرج معه إلى العشاء، ويتجرأ على التفكير أنها ستحل مكان كاندي؟ إنه يعرف أنها ليست من الطراز الذي يقبل بعلاقة لا تبنى على حب متين يدوم

www.elromancia.com

لم تكن متأكدة كم وقفت هكذا، لكنها كانت في الوضعية ذاتها حين عاد ميتش.

ـ هاك لائحة بالأشخاص الذين نحتاج إلى دعوتهم.

ومد يده بورقة.. فردت باكتئاب: «عظيم.. شكراً».

وأخذت تتفحص الأسماء الموجودة على اللائحة.. فاسترعى انتباهها اسم واحد..

ـ جورج هيرفي؟ ستدعو جورج هيرفي؟

ـ أجل رئيسك الأسبق والأكثر إعجاباً بك، طبعاً بالتأكيد ليس لديك مشكلة في هذا؟

هزت اللائحة في وجهه بذهول:

ـ بالطبع لدي مشكلة، لا يمكنك دعوة جورج.. سيكون هذا مؤلماً له.

نظر إليها وتعابير الذهول نفسها بادية عليه:

ـ ولماذا لا يكون جورج جزءاً من الاحتفال؟

ـ بحق الله.. ميتش! كيف يمكن أن تكون لئيماً هكذا؟ لماذا ترغب في تمريغ أنف المسكين بنجاحك؟

كيف يمكن لميتش أن يكون عديم الإحساس هكذا؟

ـ ألا يكفي إساءةً له أنك اقتحمت الشركة بكل تسلط؟ لقد رميت بجورج إلى الخارج.. على الأقل اتركه بسلام!

ـ غرايس، لن أسمح أن تصرخي في وجهي.

طرفت عيناها ولانت لهجتها لأنها أدركت أن صوتها كان مرتفعاً.

ـ كان جورج يعاملني كابنة له.. ألا يمكن أن ترى كم سيكون هذا فظيعاً للرجل المسكين؟

هو حر في أن يتنقل عابثاً من امرأة إلى أخرى على هواه.. لكن كيف يمكن له أن يكون قاسياً هكذا؟ كيف يمكنه أن يدعو الرجل الذي دمره

ليشهد ساعة انتصاره؟

بدا على ميتش العصبية والتوتر: «أعتقد أن من الإنصاف القول، إنني برأيك، ارتكبت خطأً في حقه».

التفتت بسرعة: «إنني مصدومة».

ـ لكن ليس على جورج قبول الدعوة.

نظرت إلى السقف تهز رأسها:

ـ بالطبع سيقبلها.. فله كرامته.. لكنني لا أفهمك ميتش. إما أنت حاقد لدرجة الانتقام وأناني وإما أنت عديم الإحساس.. وفي كلا الحالين.. أنت لست الرجل الذي يمكن يوماً أن أحـ...

وفي الوقت المناسب أطبقت فمها.

ـ ما كان هذا غرايس؟ كنت على وشك ذكر.. الحب.

تقدم نحوها ونظرته العميقة تكاد تذهب بغضبها وتجعلها تستسلم.

ابتلعت ريقها، تنكمش تحت نظراته الحائرة وحاولت التظاهر أنها لم تسمع منه كلمة، لكنها شعرت بيديها تلتهبان.

كان صوته متكسراً بشكل خطير:

ـ هل كنت على وشك أن تعترفي.. أنك.. أننا.. أن هناك شيئاً مميزاً يدور بيننا؟

هزت رأسها: «أنا.. أنا..».

وهاجمته من ناحية أخرى: «ما بالكم أنتم الرجال؟ لماذا يجب أن تكونوا جميعاً شريرين هكذا؟ يبدو أنكم تستمتعون بإثارة الحرب بين الشركات».

لكن لسبب ما، لم يعد ميتش ينظر إليها. بل استند مسترخياً على خزانة الملفات، وطوى ذراعيه على صدره.

ـ إذن.. تعتقدين أننا جميعاً قساة متوحشون؟

ارتفع صوتها مجدداً:

ـ لقد اشتريت هذه الشركة وتريد الآن أن تعرض جورج العجوز المسكين كغنيمة حرب.

ابتسم قليلاً: «رجل آخر يضرب من أجل غروره؟».

ـ كيف يمكنك أن تمزح بمثل هذا الأمر؟ إنه كارثة.

لكن ما كان كارثة حقاً هو أنانية ميتش.

وعادت نظرات الانزعاج والامتعاض إلى عيني ميتش:

ـ مهلك غرايس.. أعتقد أن لك وجهة نظر شخصية عن الكارثة.. اسمعي.. أنا لا أملك الوقت لمناقشة هذا معك.. فلدي شركة أو شركتان لأجتاحهما.

شخرت تسخر... لكنه تابع:

ـ هكذا، سأتركك لترسلي الدعوة إلى جورج هيرفي، وبما أنك على علاقة مميزة مع الرجل العزيز، وبما أنك قلقة جداً على كرامته الهشة إذا قبل الدعوة، أريد أن تكوني مرافقته الشخصية خلال الحفلة.

وسار ميتش بسرعة دون استئذان، إلى خارج المكتب مرة أخرى.. ولم تقفل غرايس فمها إلا بعد مرور وقت طويل على رحيله.

* * *

١٢ ـ الغد الجديد

تحت أشجار النخيل المروحية، تعالى الضحك والحديث الخالي من الهموم في سماء ليلة شتاء دافئة.

كانت حفلة إطلاق «الغد الجديد» في أوجها.

عند مدخل الحديقة، قامت غرايس بدور المضيفة فاستقبلت الضيوف وأعطتهم منشورات دعائية.. ووصل النجوم المشهورون، الذين استقبلهم العمدة المحلي ووجهاء المدينة الآخرين.

راقبت غرايس ميتش من طرف عينها يدور في المكان يتلقى الربت على الظهر والتهاني القلبية، ويبتسم بسحر للعيون الأنثوية.. كان يرتدي بذلة رائعة وقميصاً حريرياً وربطة عنق.

كان هناك كل رجال الأعمال المعروفين في المنطقة. لكن، ولحسن حظ غرايس، أن جورج هيرفي قبل الدعوة، غير أنه لم يظهر بعد.. وربما غيَّر رأيه.

نظرت إلى ساعتها، وطمأنت نفسها بأن كل شيء يسير حسب الجدول، والصحافيون والمصورون يجتمعون حول منصة الخطابة مثبتين كاميراتهم ودافعين بميكروفوناتهم إلى الأمام.

أخيراً تحرك الوزير وهو يبدو وقوراً متفاخراً وتقدم إلى المنصة ليخاطب الجمهور.

ـ صناعة فيلم «الغد الجديد» استثمار جيد لأهل هذه الولاية.

صمت وامتدت ذراعه نحو ميتش الذي انضم إليه:

www.elromancia.com

ـ هذا المشروع هو مثال عن الشراكة الرائعة التي يمكن إنجازها ما بين حكومتنا والقطاع الخاص.

أخذت غرايس تدور حول الجمع، تتأكد من أن كل شيء على ما يرام.. وما إن انتهت الخطابات حتى عاد تقديم المرطبات والمأكولات.. وبدا أن كل شيء يتم حسب ما هو مخطط له.

ما عداها هي.. كانت تتوق إلى الهرب.. ما كانت تريده أكثر من أي شيء هو أن تعلق في عنقها لوحة تقول «غير صالحة لشيء» أو «ذهبت لتصطاد».

ليتها تستطيع أن تختفي.. هذا المرح العامر كان يبدو لها محنة أكثر مما توقعت.. كانت الشخص الوحيد الموجود الذي ليس لديه ما يحتفل به. فقبل تصوير أول مشهد من هذا الفيلم، ستكون قد تركت عملها.

لحسن الحظ، وخلال الأسبوع المنصرم، ومنذ أن اكتشفت ما هو بالضبط نوع الكوماندوس المؤسساتي الذي يمثله ميتش، لم تكد تراه.

كان كل العاملين في الشركة يدورون بذعر إلى الأمام وإلى الخلف.. من مهمة إلى أخرى، وكأنهم فريق من النمل المشغول.. اقتراح ميتش بأن حفل الإعلان يمكن أن ينظم خلال أيام، كان مثلاً آخر على عجرفته الزائدة. لكنهم أنجزوا كل شيء.. وها هي الحفلة قائمة.

وما أن ينتهي هذا حتى تتمكن من قول وداعاً لأفلام تروبيكانا وليتش ج. وينتويرث، وإلى الأبد.

لكن فكرة الرحيل ما زالت تؤلمها.

ميتش وسيم جداً، ساحر ومثير، تذوب أمامه الأحاسيس والمشاعر، وينسى مشاعر الآخرين.. لكن متى سيتقبل قلبها هذه الحقيقة؟ متى ستتمكن من نسيان الأمور الأخرى، الجانب الرقيق المعذب من ميتش؟ متى..؟

ـ غرايس!

همس أحدهم باسمها، فالتفتت فإذا برئيسها العجوز المألوف يظهر أمام

نظرها:

ـ جورج!

ـ كيف حالك عزيزتي؟

ربت على كتفيها بروح أبوية وشدّ خدها بلطف..

همست: «من الجميل جداً أن أراك، خلتك لن تأتي».

ـ تأخرت الطائرة عن الإقلاع من «ماسكوت».

أشار برأسه نحو الوزير: «عم يتكلم هذا الرجل؟ دعينا نخرج من هنا لتخبريني كل شيء عنك.. لم أرغب يوماً في سماع الخطب السياسية».

أمسك جورج بيد غرايس وجرها نحو الباب بعيداً عن ساحة الحفل. تبعته دون أي اعتراض، سعيدة بتحررها من ذلك المكان.

قال جورج: «تبدين أكثر جمالاً عما مضى غرايس.. لا بد أن العمل مع ميتش يناسبك».

يا لشجاعة هذا الرجل!.. فها هو مجروح حتى الأعماق بسبب خسارته «لتروبيكانا فيلم» ويخصني بالمديح..

وثارت في نفسها مشاعر الغيرة والدفاع عن رئيسها القديم.. وما إن أبعدتهما الأبواب الزجاجية عن ضجيج الحفل، حتى استدارت إلى صديقها القديم:

ـ جورج.. أنت رجل شجاع.

بابتسامة حائرة رد: «أنا؟».

ـ طبعاً أنت، لم أصدق أن ميتش دعاك للحضور هنا اليوم.. ولا ألومك أبداً لرغبتك في الهرب من الاحتفال.. فضرب الصدور هذا ونفخ الأبواق لأمر مثير للعدوانية.

ـ بعض الخطب قد تكون مملة.. لكنني سأخرج إلى هناك حين يأتي دور ميتش للكلام، أريد أن أسمع ما سيقول.

ـ أوه لا.. لن تفعل.

ـ ولمَ لا؟ أنا لم أسمعه بعد؟ لا أتصور خطابه مملاً.

ـ لكن هذا سيكون مؤلماً لك جورج.

بدت الحيرة على وجهه: «عزيزتي.. أنا أشعر بأنني على ما يرام، وصحتي جيدة فعلاً. ولكنني أبدو أكثر نحولاً».

ـ أوه.. أنا لا أعني الصحة الجسدية إنما النفسية أي عاطفياً.

وضعت يدها على قلبها.

ـ لا بد أنك تشعر بالألم.. بالحزن.. بالامتعاض.

ـ أنت تربكينني غرايس.. تعالي لنجلس.

جلسا على مقعد من الخيزران في فناء الفندق.. وسألته:

ـ هل أطلب لك شيئاً لتشربه.. فنجان شاي مثلاً؟

ـ لا.. لا.. سآكل وأشرب كما يحلو لي حين أعود إلى الخارج. والآن أخبريني كيف تجري الأمور معك.

أشارت غرايس إلى الاحتفال خلف الجدار الزجاجي:

ـ تروبيكانا هي الآن حديث الساعة!

مال جورج إلى الأمام: «لكن، كيف حالك أنت غرايس؟ هل أنت سعيدة؟».

ـ ليتني ما زلت أعمل عندك.

حين رفعت رأسها أدهشها أن ترى جورج شاحباً متلهفاً.

ـ لكن يا عزيزتي، هذا يعني أن تكوني بلا عمل.

قطبت: «عمّ تتحدث؟».

ـ لن يكون هناك تروبيكانا فيلم.

ـ هذا كلام سخيف..

انتزع جورج نظارته ومسحها بمنديله، ثم رفرف عينيه ونظر بتمعن نحو غرايس:

ـ كنت على ثقة أن الأخبار لا بد رشحت الآن.. حول الفوضى التي أوقعت فيها الشركة.

ـ فو.. فو.. ضى؟

ـ فوضى فظيعة عزيزتي.. لقد اتخذت قرارات غير حكيمة أبداً وهذا ما جعل الشركة في وضع سيء.. سيء جداً في الواقع.. ولولا جهد ميتش وينتويرث لإنقاذ الشركة حين كانت على شفير الإفلاس.. لما كان هناك شيء اسمه تروبيكانا فيلم.

شهقت غرايس مذهولةً.. فربت على يدها وهز رأسه:

ـ لقد قام الولد العزيز بمقامرة كبيرة واستثمر كل طاقاته وإمكانياته المادية ليخرجني من ورطتي.

ـ لكنه.. لكنه..

عجزت عن الكلام بعد ما غرقت في بحرٍ من اليأس، واضطرت إلى الاستسلام.

ـ أكنت سعيداً لأجله حين حلّ مكانك؟

أعاد جورج نظارته إلى مكانها وومضت عيناه الزرقاوان بالتأكيد:

ـ وبانفعال شديد.. كنت أواجه كارثة مالية وباب الفقر واقفاً على بابي في أواخر عمري.. أنا مدين لميتش، ومستريح جداً لأنه يبدو ناجحاً.

نظرت إلى جورج، وهي تهز رأسها:

ـ لكن لماذا لم يشرح كل هذا لي؟ إنه يعرف أنني أعتقد بأنه تسلط عليك لتبيع.

ـ ألم يقل شيئاً؟

هزت رأسها مجدداً وأحست بعقدة الذنب.

ـ أعتقد أنه لم يرغب في الإعلان عن فشلي.. إنه سيد مهذب غرايس.

ردت بشكل تلقائي: «لا.. إنه ليس هكذا. لا يمكن أن يكون.. أنه..».

ظهرت ملامح الخجل على وجه جورج:

ـ أنا آسف لأنني لم أشرح لك الأمر يومها.. لكن للرجل كرامته، فقد كنت ضعيفاً، ولذا اتبعت أسلوباً جباناً، وزحفت بهدوء مبتعداً.. لم أرغب أن أرى خيبة أملك.

www.elromancia.com

ـ أوه.. جورج.

تركت غرايس مقعدها وتقدمت إليه تحتضنه وتنهدت:

ـ ما كنت لأسيء الظن بك... كنت سأتعامل مع الرئيس الجديد بشكل إيجابي.

ربت جورج ذراعها: «من المؤسف أنكما لم تتفقا معاً.. كنت دائماً أحلم سراً بأنكما مناسبان لبعضكما بعضاً».

ـ حقاً؟ يا لها من فكرة سخيفة!.

أحست غرايس باحمرار وحرارة يتصاعدان في رأسها.. وحاولت بسرعة تغيير الموضوع.

ـ قلت إنك ترغب في سماع كلمته.. وربما من الأفضل أن تعود.

هزها حديث جورج إليها تماماً، وشعرت بأنها بحاجة إلى وقت إضافي لتستوعب كلامه..

راقبته وهو يبتعد، وشعرت كأنها غارقة في بحر.. فقدت الإحساس بالزمان والمكان.. وكأن فهمها للشمال والجنوب، للصح والخطأ، للحقيقة والزيف قد تشوّش.

استيلاء ميتش على الشركة كان عملية إنقاذ؟

تذكرت تعابيره المصدومة حين وبخته دون رحمة بشأن معاملته السيئة لجورج.

وقفت متصلبة.. تراقب.. من بعيد، رأت ميتش وراء المذياع يبتسم، ويلوح بيده اعترافاً بالتصفيق والتهليل. وراقبت الضيوف يرفعون الكؤوس.. وسمعت الهتاف الخفيف.. ورأت أضواء الكاميرات.. ثم شاهدت ميتش مرة أخرى يبتسم.. وأحست بالدموع تنهمر على وجنتيها.

جاءها صوت من داخلها.. لا تكوني عاطفية هكذا.. تذكري كاندي.

لكن، بطريقة ما، كان لاتهامات كاندي رنين أجوف الآن.. لطالما أبدى ميتش الحيرة حين كانت تذكر كاندي له.

أخذت محارم ورقية من حقيبتها وجففت دموعها. ثم بدأت تسير إلى الأمام ببطء.. حين وصلت غرايس إلى ميتش، كان محاطاً بجمع من المهنئين له، ممن هرعوا لمصافحته.

وقفت غرايس جانباً، وانتظرت بهدوء، تراقبه وقلبها يخفق.. راقبته يوجه سحره القاتل دون جهد وكأنه يوزع المربى فوق قطعة توست.. ابتسامة جانبية هنا، غمزة عين هناك.. ضحكة مهذبة لنكتة رجل، اهتمام مركز لتعليق رجل آخر. ثم رآها.

وأطبق صدرها بشدة وبشكل لا يطاق لأن عينيه السوداوين أسرتا عينيها.

تابعت المجموعة حوله الحديث، لكنه كان ينظر إليها مباشرة. وللحظات قصيرة، تحولت عيناه إلى امرأة كانت تحاول سؤاله شيئاً.. لكن غرايس رأته يعتذر.

ظل يراقبها عن كثب.. ثم انفصل عن الجمع وشق طريقه نحوها. فأخذ قلبها يضرب كالطبل.

وسأل: «هل أردت الحديث معي؟».

***

أخذت ركبتاها الآن تصطكان، إنها تريد أن تهرع إلى ذراعي ميتش.. أن تعتذر.. أن تطرح ألف سؤال. إنه طويل جداً.. وخطير جداً بوسامته الأخاذة.

قالت بصوت متزن قدر ما استطاعت:

ـ أنا.. بحاجة أن أتحدث إليك عن أحد الضيوف سيد وينتويرث.

نظر ميتش إلى مجموعة تقف قريباً تنتظر أن تقابله:

ـ الآن.. آنسة روبنز؟

حاولت ألا تظهر أي تعابير على وجهها:

ـ إذا أمكن.

لكن الدمعة التي اغرورقت في عينها اليمنى هزمتها.

قطب.. ثم نظر مجدداً إلى المجموعة التي تنتظر أن تكلمه.. وتصورت أنه يفكر برفض طلبها، لكنه استدار بأدب إليهم وتمتم:

ـ هلا عذرتموني.. أحتاج أن أتشاور مع مساعدتي التنفيذية.

خطا ميتش إلى غرايس، ووضع يداً على ظهرها يقودها بعيداً.

سألت: «هل يمكن أن نذهب إلى مكان آخر منعزل؟».

اتسعت عيناه دهشة.. لكن إكراماً لها، هز رأسه موافقاً، وسارع نحو أبعد طرف في المسبح. وفيما كانا يسيران، بقيت يده على ظهرها، فأحست بالحرارة تصل إليها عبر قماش البلوزة الرقيق.

لم يتكلم حتى وصلا إلى مربع معشوشب مغطى عن الجمع بمجموعة نباتات موضوعة في أوانٍ ذهبية.

فجأة، وقد بدا عليها العجز، توقفت غرايس.. واستدارت لتنظر إلى المشهد الهادىء عبر خليج كليفلاند..

قال ميتش بهدوء:

ـ لقد ألمحت إلى شيء تودين مناقشته؟

سحبت نفساً عميقاً من هواء البحر.. وأخذت تبحث عن طريقة تبدأ فيها الكلام.. بأنها قد أساءت الظن به.

ـ أعتقد أنني مدينة لك باعتذار.

جاءت كلماتها متعثرة غير مفهومة.. فبدا للحظة مجفلاً. ثم ارتفعت يداه لتستقرا على وركيه..

ـ حقاً؟

استرخى فكه، وابتسم ابتسامة بطيئة ساخرة.

ـ هل واجهت أول خطوة من الخطة الخماسية؟

سارعت تتابع: «المشكلة أنني بقيت أفكر في أنك..».

وصمتت: «خطة من نقاط خمس. عمّ تتكلم؟».

ـ سأشرح هذا في أوانه.. على الرجل أن يأخذ حذره منك.. غرايس.. لكن لا تشغلي بالك الآن.. كنت تتكلمين عن الاعتذار.. ولقد

أثرت اهتمامي.

ارتبكت غرايس: «لكن ما هي خطة الخمسة نقاط؟».

أمال رأسه جانباً، وعلى وجهه تعبير التسلية:

ـ ما أعجلك!

ـ لقد واجهتني بلغز، ويجب أن أفكر وأحلل تلك الألغاز.

طوى ميتش ذراعيه على صدره وبدا مسترخياً بشكل يبعث الغيظ والغضب في النفس:

ـ هذه هي سيئة الإنسان الذكي. والآن.. أسمعيني بوضوح لماذا جررتني بعيداً عن ضيوفي.

سحبت نفساً عميقاً: «أوه.. كنت أتحدث إلى جورج هيرفي».

نظر إليها نظرة ثابتة.. وبقي صامتاً.

التوى فمها، وجهدت أن تحافظ على توازنها.

ـ كنت تعرف، أنه ما إن يصل جورج إلى هنا، حتى أعرف أنك لم تجتح مركزه بالشركة ظلماً وأنني كنت أحقد عليك.. على أساس واهي.

التمعت عينا ميتش.

ـ ما أحاول قوله، إنني آسفة جداً ميتش.. كنت فظة جداً معك.. لكن كيف كان لي أن أعرف أنك لست.. لست..

ـ جرذاً من ذهب؟

ـ أوه.. ميتش.

وسالت دمعة على خدها.

مد يده ليلحق بانسياب الدمعة وقال بصوت ناعم: «عرفت أنك حالما تتحدثين إلى جورج ستفهمين الأمور بطريقة صحيحة».

سألت: «وأن أخرج بالنقطة رقم واحد، من خطتك هذه؟».

قرّبها إليه أكثر، وضحك مقرباً وجهها من وجهه:

ـ أجل.. غرايس الذكية.. هذا بالضبط ما كنت آمله.

واقشعرت لحرارة يده على خدها.

في هذا الوقت سمعا سعالاً محرجاً: «سيد وينتوبرث».

تراجع رأس ميتش إلى الوراء: «ما الأمر؟».

ـ الوزير سيغادر بعد قليل سيدي، لديه لقاء آخر يحضره.

تنهد ميتش: «أجل.. بالطبع.. حسن جداً. أنا قادم.. أمهلني دقيقتين فقط».

ما إن ذهب الرسول، حتى همست غرايس:

ـ دقيقتين؟ هناك أشياء كثيرة أريد أن أستوضحها.

همس صوت من داخلها «بإمكانك البدء بكاندي». لكن غرايس لم ترغب أن تفسد هذه اللحظات. ليس وعينا ميتش ترسلان إليها الكثير من الوعود الصامتة.

قال: «أنا أصغي إليك جيداً.. اطرحي أسئلتك».

ـ لا يمكننا بحث النقطة الثانية فالثالثة فالرابعة فالخامسة في دقيقتين.

لامس جبهتها بشفتيه..

ـ صبراً.. غرايس.

ـ يكاد صبري ينفذ.

ـ لا نريد استعجال أمر مهم لهذه الدرجة.. هل تعدينني ألا تختفي لو طلبت منك الانتظار ساعة؟ ثم سوف نناقش الأمور بتفاصيل دقيقة.

تنهد: «أما، الآن، فثمة أناس كثيرون يتوقعون أن يتكلموا معي».

بطريقة ما أجبرت نفسها أن ترد.

ـ أعتقد أنني أستطيع الانتظار قليلاً بعد.

تمتم: «ليتني أستطيع أنا.. هل تعدينني أن تبقي هنا؟».

ـ طبعاً.

ما إن ودّع الوزير، حتى وضعت غرايس بعض الطعام في طبق أحضرته لميتش، قبل أن يتابع النقاش عن النوعية المشرقة للنور في نورث كوينزلاند، مع مجموعة من المصورين السينمائيين.

كيف يمكن أن يبقى صارماً هكذا؟ تساءلت عن ذلك وهي تختلط مع

الناس. لكنها وجدت صعوبة كبيرة في التركيز على ما كان يتحدث به الناس.. خاصة وأنها طوال فترة الحديث كانت ترى رأس ميتش وكتفيه أطول من رؤوس الجميع.

استمر في ملاحقة نظراتها وإرسال ابتسامات سرية. وفي كل مرة كانت ترتعش بداخلها ابتهاجاً. لكن الحفاظ على المظهر اللائق والرسمي لستين دقيقة طويلة كان أمراً مرهقاً.

أخيراً، وقد بدأت الشمس تغوص في البحر، ظهرت ماريا قرب غرايس.. ومن خلف ظهرها أخرجت باقة زهر كبيرة.. زهور برية أوسترالية جميلة:

ـ غرايس.. أحضرت لك هذه.

نظرت غرايس إلى الباقة:

ـ إنها جميلة.. هل أنت واثقة أنها لي وليست لأحد النجوم؟

هزت ماريا رأسها: «من أوصلها أصر على أنها لك. لكن البطاقة عليها غامضة.. لا اسم عليها... فقط «النقطة رقم اثنين».

شهقت غرايس: «أوه!».

سألت ماريا وهي تمعن النظر بوجه صديقتها بخبث:

ـ أوه؟ إذن تعرفين من أرسلها؟

ـ.. على فكرة.

ـ هل عاد رئيسنا المغرور ليلفت انتباهك إليه مجدداً؟

حين لم ترد غرايس، أضافت ماريا بابتسامة عريضة:

ـ إحساسي الداخلي ينبئني بأن الجو بينكما صاف.. انظري إلى نفسك.. أنت تشعين.

ابتسمت غرايس، فلا جدوى من محاولة خداع ماريا:

ـ كنت أرجو ألا يكون الأمر واضحاً هكذا.. لكنني أشعر بالسعادة.. أشعر بأنني سأنفجر.

نظرت ماريا بسرعة إلى صديقتها، ثم إلى الضيوف:

ـ أقترح إذن أن تنفجري داخلياً، فهؤلاء الناس يرتدون أفضل ما لديهم.

وأطلقت الفتاتان ضحكةً صامتة.

بالنسبة لغرايس كان من المريح لها أن تنفس شيئاً من مشاعرها المشحونة.. فكل جزء منها كان يتوق إلى ميتش..

قالت ماريا: «هاهو جورج هيرڤي».

في أقصى جانب من المسبح، كان ميتش وجورج غارقين في الحديث.. وفيما كانت غرايس تراقبهما ربت جورج بمحبة على ظهر ميتش وتصافح الرجلان. كان هناك الكثير من هز الرأس والابتسام، وحتى الضحك المرتفع.. الواضح أنهما على علاقة ممتازة.

علقت ماريا: «إلا إذا كنت مخطئة، فلا يمكن أن يكون السيد وينتويرث ذلك المحتال صاحب القلب الأسود الذي تصورناه».

شرحت غرايس لها بسرعة ما قاله جورج.

صفرت ماريا، وقالت: «واو.. ماذا تنتظرين إذن؟ اذهبي إلى هناك.. فسرعان ما تنتهي هذه الحفلة على أي حال».

لم تكن غرايس تحتاج إلى دعوة أخرى، لأن ميتش كان ينظر إلى ساعته ويتطلع نحوها.

تبادلا ابتسامتين غريبتين، وتقدما معاً نحو بعضهما بعضاً.

سألها ما إن التقيا:

ـ هل قال لك أحد كم أنت مدهشة؟

ـ شكراً على باقة الزهور ميتش.

ابتسم، ولف ذراعه بتملك حول كتفيها:

ـ ذلك المطعم الذي ذكرته في الأسبوع الماضي.. حجزت فيه لهذا المساء.. فهل تنضمين إلي للعشاء؟

ـ الليلة؟

نظرت إلى ما تبقى من ضيوف معدودين، وكان السقاة ينظفون المكان

من الكؤوس الفارغة وأطباق الطعام.. ولوحت بيدها:

ـ وسط كل هذا؟ ووجدت وقتاً لتحجز؟

ـ وطلبت الزهور.. صديقتك المزعجة تلك.. تبدي براعةً أحياناً.

فتحت غرايس فمها: «ماريا؟».

واستدارت لترى ماريا تهرب من باب جانبي.

ـ إذن.. ستأتين معي؟

لم يكن باستطاعتها أن ترفض:

ـ وهل هذه هي النقطة الثالثة؟

تهلل وجهه بابتسامة خفيفة، ممازحة:

ـ لم أدرك أنك تعانين من فضول حارق هكذا.. هل عقدة الفضول هذه جديدة؟

كبتت أنفاسها.. لم تكن تدري أتضحك أم تبكي.. بقبولها الزهور، وبخروجها معه، كانت تدخل نفسها بمخاطر جديدة ربما تؤلمها مرة أخرى.. فهل ستتحمل إذا انهار كل شيء فجأة؟

حثها ميتش: «دعينا نذهب».

ترددت: «ألا يفترض أن أشارك في وداع الحضور؟».

ـ لا.. ماريا وفريقها يقومون بكل ما يلزم بشكل رائع.

ـ وماذا عن جورج؟ أخشى ألا أكون قد اعتنيت به جيداً كما أمرتني.

ـ جورج على أحسن ما يرام.. لقد دعته زوجة العمدة إلى منزلهما للعشاء.

تمتمت غرايس: «أوه.. ما ألطف هذا».

أرادت البحث عن ذريعة أخرى.. لكن كان من الصعب أن تجد شيئاً.

وضع إصبعه تحت ذقنها، وهمس:

ـ جميلتي غرايس.. انسي أمر جورج هيرڤي.. انسي أمر ماريا.. أريد أن تركزي كل اهتمامك علي.

فجأة استسلمت وهزت رأسها موافقة.

مدّ لها ذراعه. . فالتفت ذراعها بذراعه طوعاً. . وهرعا معاً إلى موقف السيارات حيث تنتظر سيارته.

كانا أول الحاضرين للعشاء في كوخ عمال أعيد ترميمه ليتحول إلى مطعم.

حُجزت لهما طاولة في زاولة منعزلة، تحت شجرة لوز. وكانت الأنوار فوقهما تتدلى من بين الأغصان كالنجوم المضيئة تماماً.

قالت: «إنه مكان جميل. . ساحر».

ابتسم ميتش: «ظننت أن المكان سيكون مختلفاً قليلاً».

نظر إليها عبر الطاولة، ورأت غرايس في عينيه علامات الإعجاب الكبير ووجدت في ابتسامته الدفء.

تساءلت في نفسها عما سيتكلمان. . هل هما هنا لبناء الجسور. . كما تأمل؟

سأل ميتش: «هل تدركين أن هذا هو أول موعد رسمي لنا؟».

ـ أعتقد هذا.

زادت كلماته من خجلها. . بحذر، فتحت منديل الطاولة وفردته على ركبتيها، تمسح به راحتيها المبللتين.

ابتسم: «أتعلمين. . بشعرك الأحمر البني، ولون بشرتك الطبيعية. . تجعلينني أفكر في اللبوءة. . فخورة وجميلة».

ابتسمت غرايس:

ـ برجي هو الأسد. . وربما لهذا علاقة بالأمر.

ـ الأسد. . هذا يعني اقتراب موعد عيد ميلادك، أليس كذلك؟

أحست بالارتباك فجأة: «أجل. السادس من آب. . بالضبط».

ظللت موجة قاتمة ابتسامة ميتش. . وقال هامساً: «يوم انتهاء عملك في الشركة».

وصل الساقي يحمل إبريقاً من الماء المثلج، وقائمتي طعام. كان ذلك فرصة شعرت فيها غرايس بالراحة.

بعد أن وصلا وخلال دقائق معدودة، كان الظلام قد حلّ تماماً ووصلت مجموعة من الساهرين إلى الحديقة وهم يتبادلون الحديث بسعادة. . جابت عيناها لائحة الطعام، وارتفعت يدها إلى فمها. . كان هناك نوع طعام واحد مكتوب في اللائحة:

«سرطان مشوي. . وبصيلات زنابق ماء مسلوقة. . مقدمة على ورقة نخل بري طازجة».

نظرت غرايس إلى اللائحة بصمت وبدأ قلبها يخفق بقوة. ودار رأسها.

مد ميتش يده عبر الطاولة ليمسك بيدها المرتجفة: «غرايس. . هل أنت بخير؟».

حاولت أن تتكلم. لكنها لم تستطع. . سرطان، زنابق، ما الذي يجري هنا؟ واغرورقت عيناها بالدموع التي حجبت عنها الرؤية، وسدت حنجرتها.

قال ميتش مبتسماً: «أعرف أن هذه حركة مسرحية مني».

تمكنت غرايس من إجلاء حنجرتها، وقالت بصوت متقطع: «بالتأكيد هي هكذا. . أشياء كهذه لا تحدث إلا في السينما».

تلاعبت أصابعه بيدها.

ـ أردت أن أجد طريقة تعيدنا.

ـ تعيدنا إلى بركة الصخر؟

ـ إلى وقت كانت الأمور فيها على ما يرام بيننا.

نظرت إلى أصابعه القوية البنية وهي تدلك يدها بلطف. . بينما قلبها يخفق بسرعة هائلة.

ـ هناك. . الأمور بيننا. . كانت. . صحيحة جداً. . ألم تكن هكذا؟

ابتسم: «ولا يمكن أن تكون أكثر صحة».

رفع يدها إلى فمه، وأحست بلهيب في أعماقها:

ـ لقد كنا هناك في عالمٍ آخر، أنسانا العالم المليء بالهموم والمشاكل. لم

يكن علينا ضغوطات خارجية..

ـ عدا البقاء.

ـ طبعاً، ويجب ألا نقلل من أهمية أننا كنا في خطر حقيقي.. لكن عدا هذا، نزعت البرية عنا كل عقدنا العاطفية.. أليس كذلك؟

هزت غرايس رأسها.. كيف لا توافق؟ كانت شخصاً مختلفاً تماماً.

تابع: «لم يكن لنا ماضٍ.. والمستقبل مجهول.. ولم يكن لدينا ممتلكات.. كنا فقط شخصين يواجهان خطراً دائماً. إنها تجربة تبين كل ما في داخل الإنسان من حسنات وسيئات».

شد على يدها: «بالنسبة لنا الذي برز كان الأحسن والأفضل.. بل أفضل الأفضل».

وتذكرت كيف كانا يتشاجران في كل مرة يتكلمان فيها. سألت:

ـ والمكتب كان يكشف عن السيئات؟

رد مفكراً: «لن أقول هذا.. أظن أن ما حدث هو بسبب العودة السريعة، إذ لم تتح لنا فرصة التكيف.. حين وصلت دورية الجيش تلك من حيث لا نعلم.. انتهى كل شيء فجأة.. كنا على وشك أن نصل إلى غابة الأشجار لنستريح هناك.. وما هي إلا لحظة حتى عدنا إلى تاونسفيل في طوافة».

لاحظت أنه لم يذكر أمر دخول كاندي حياتهما.

أبقى يدها بيده:

ـ هكذا.. ما أقترحه، أن نحاول الليلة خداع الزمن.

ظهرت على شفتيه ابتسامة ماكرة، وأدركت غرايس أنه قد انتابه شعور مفاجيء.. إنه متوتر.

وأكمل: «نتصور أننا ما زلنا في البرية عند بركة الصخرة.. وسنتحدث عن الطريقة التي نريد بها أن نتابع حياتنا من هناك.. يجب أن ننسى كل شيء حدث منذ تلك اللحظة».

أخفضت غرايس عينيها عن نظرته الحادة:

ـ سأغادر المدينة ميتش.. فكيف يمكن أن تنسى أنني مغادرة؟

ـ سنبعد هذا عن أفكارنا الآن.

طقطق أصابعه بالقرب من أذنها:

ـ آبرا كادابرا.. لقد عدنا في الزمن إلى الوراء.. تذكري هذا.

همست: «سأحاول».

ـ أعتقد أنك ستجدين السرطان وزنابق الماء محضرة بطريقة أكثر ابتكاراً مما طهوناها في البرية.

ابتسمت غرايس في وجهه بتفاؤل وعزم أكثر:

ـ سأنتظر بتلهف.. وهل وضع هذا المطعم لائحة طعام خاصة لنا فقط؟

ـ لك ولي فقط غرايس. اعتبري نفسك شخصية مشهورة.

كانت وجبة الطعام لذيذة.. وقدم السرطان مع المرق الخاص وقدمت بصيلات زنابق الماء متبلة بالثوم والفطر، يرافقها طبق جزر ولوبيا متبلان بالعسل.

وهما يأكلان، تحدثا عن «الغد الجديد» وكأن لا وجود للغيوم في الأفق.. تحدثا عن «الغد الجديد» وعن قرارات المواقع، وعما كان يأمل ميتش أن يحققه.. وكان الحديث كله لطيفاً ودافئاً جداً.

وفيما كانا ينتظران الحلوى من الفاكهة الاستوائية وآيس كريم بالمانجو، أمسك ميتش يدها مرة أخرى.. وأراد أن يتكلم.. ثم بدا وكأنه فقد ثقته بنفسه.

شعرت بالدهشة واقشعر بدنها، وحتى قبل أن يتكلم ميتش مجدداً، عرفت أنه يريد إدارة الحديث في طريق أكثر جدية، وبدأ قلبها يخفق بألم.

قال أخيراً: «لقد حدث لي شيء ونحن قرب البركة.. لم يحدث لي من قبل، أبداً».

همست غرايس: «أبداً؟»

هز رأسه.. وكانت ابتسامته خجولة فعلاً.

ـ لم أرضخ من قبل لمثل هذا الحمل من العواطف.

قالت: «هذا.. الحمل.. وظهوره.. لا يبدو تجربة سارة».

وضع ملعقته من يده: «غرايس.. الوقوع بحبك هو آخر المطاف في حياتي العاطفية».

احمرت وجنتاها.

وأكمل: «الجزء المؤلم البغيض كان ما أتى بعده.. الطريقة التي حولت فيها كل شيء إلى فوضى.. ثم تلقيت استقالتك».

تظاهرت بالانشغال في وضع الفاكهة فوق الآيس كريم..

ـ كل ما كتب عن الحب غير المتبادل، هو أسوأ مما وصفه الشعراء.

حوّل ميتش نظره إلى أوراق السرخس الطويلة إلى جانبها، ثم عاد إليها.

ـ وكنت أتألم جداً حين كنت أعتقد أنك لا تهتمين بي.

نظرت إلى طبقها.. فجأة لم تعد ترى الفاكهة.

ـ أنت.. تلك الليلة في شقتي.. قلت إن الحب.. أعني أن التواصل الرومانسي معي.. لم يكن ملائماً.

ـ لقد قلت كلاماً سخيفاً كثيراً.

ـ وماذا عن..؟

ـ ماذا عن ماذا؟

أوه.. لماذا تجد صعوبة في طرح الأسئلة.. خاصة عن كاندي..؟

أخيراً نطقت بصراحة: «كاندي! ماذا عن كاندي؟».

بدا وكأن سؤالها علق في الهواء.. وخفق قلبها خفقات قوية.

قطب: «وماذا عن كاندي؟ وما الذي يجعلك متكدرة منها؟».

ردت بصوتٍ عالٍ: «كل شيء.. لا.. إذا كنت أريد أن أكون صادقة، فهو شيء واحد. أن بينكما علاقة مميزة».

ـ وهل قالت لك هذا؟

هزت رأسها: «لم أستطع التفكير فيك.. فيكما معاً..».

ـ وهل ادعت أننا ننام معاً؟

نظرت إليه بتحدٍ: «لقد ألمحت إلى هذا بكل تأكيد».

ـ لا أستطيع أن أصدق أنك أصغيت إليها. كيف استطعت أن تصدقيها؟

ـ ولماذا لا أصدقها.

ـ لأنني لم أعطك أي سبب لتصدقي.

ابتلعت غرايس ريقها بسرعة: «أوه؟».

تستطيع أن تذكر عدة مناسبات سمح فيها ميتش لكاندي أن ترمي بنفسها عليه.. عدة أيام أمضاها ملتصقاً بها في المكتب.. عدة ليالي أمضاها في الفندق ذاته. مع ذلك يجب أن تعترف أنه ليس هناك من دليل حقيقي.

ـ لم ألمس تلك المرأة.. أجل، كانت تتلاعب بي، لكنني لا أذكر أنني لمستها يوماً.. أقسم على هذا.

أسرت نظراته عينيها.. لكن سرعان ما غض نظره ليمسك بكوب العصير وينقله إلى مكان آخر من الطاولة وكأنه يحرك جمراً فوق رقعة شطرنج..

ـ أتعرفين أنها اشترطت لتوفير الدعم المادي، أن أتخلص منك؟

ـ ماذا؟

ـ ولم أرض أن أسمع اقتراحها حتى.. طبعاً.

ـ لكن.. ميتش كدت تخسر كل شيء!

كان سيخسر كل شيء! الشركة، المشروع، والأحلام!.. كل شيء!

نظرت إليه دهشة، كان سيضحي بكل هذا لأجلها!

ـ لم أستطع تركك تذهبين.

تأوهت غرايس. «أوه.. لا.. ثم قدمت استقالتي على أي حال».

ظهر الشعور بالذنب في بريق عينيها وهي تستدير ثم تتذكر أمراً آخر:

ـ تلك الليلة التي استقلت فيها.. أردت مني أن أعود إلى العشاء آملاً أن ألاطف كاندي و.. أجد طريقة.. لدعمك.

لم تتحمل غرايس التفكير كيف أنها خذلت ميتش، وكيف خرجت غاضبة من موقف السيارات، دون أن تعطيه فرصة للشرح.. وكيف قدمت استقالتها وكيف رفضت النقاش.

أخرجتها كلماته الهادئة من أفكارها.

ـ يجب أن ننسى كل شيء عن هذا الآن.. كل ما أريد التفكير فيه الليلة هو أنت.. فتاتي الجميلة.. منذ عدنا إلى المدينة، شعرت أنني فقدت جزءاً مني.. الجزء الأكثر أهمية.

دخلت كلماته المثيرة مسامعها بدفء واطمئنان.. وهمست: «وأنا كنت كذلك في فوضى عارمة».

حرر اعترافها، شيئاً في داخلها.. وكأن ذلك القلب المتقطع قد عاد وجُمعت أجزاؤه من جديد.

قال ميتش: «دعينا نخرج من هنا..».

ووقف.

كان الساقي يقترب من طاولتهما بصينية فيها القهوة والشوكولا، فشرح له ميتش بسرعة أنهما مغادران، وما أن سدد الفاتورة حتى دفع بغرايس بلطف أمامه ليخرجا من المطعم.

تمتم، وهو يلفّ عليها ذراعه:

ـ الآن.. أين كنا؟

قالت وهي تتنفس بصعوبة: «كنت ستعانقني؟»

قال ممازحاً بصوت أجش:

ـ مهلك لحظة.. جاء دوري لأطلب العناق.

لفّت ذراعيها حول عنقه. وببطء كررت ما يفعل.

ـ بإمكانك الطلب ساعة تشاء.

وتلاشى كل شيء آخر.. وسرى الدم حاراً في جسد غرايس بسرعة البرق.. وفي لحظات أخذت ترتجف.. وعندما ابتعد عنها قالت: «هل ستقلني إلى منزلي؟».

ـ حاولي أن تمنعيني.

وصلا شقتها في وقتٍ قصير.. وخرجا من السيارة راكضين ضاحكين.. وعانقها ميتش عند الباب الأمامي مرة أخرى، وفي الداخل ضمها متأوهاً بحرارة.

رفع لها شعرها عن وجهها ليدسه وراء أذنها وقال: «هناك شيء ما أريد أن أقوله».

على ضوء مصباح صغير على الطاولة، رأت الدفء الحنون في عينيه، والارتجاف الخفيف عند زاوية فمه، وانتفض قلبها خافقاً.

تمتم بخشونة: «أريد أن أقول لك عن..».

ثم جذبها إلى جانبه ليحتضنها مطولاً وبجوع ولهفة.. وكأنه يحتاج إليها أكثر مما يحتاج للتنفس.

حين أبعدها أخيراً، قال لها: «هل تريدين معرفة النقطتين الرابعة والخامسة».

ـ ظننتك بدأت بهما.

رأت الجد ظاهراً على تعابيره فجأة.. وضمها مجدداً:

ـ ليس بعد.. آنسة روبنز.. سأشرح لك هاتين النقطتين بوضوح تام.. وأتوقع منك أن تستوعبي كل التفاصيل.

أمسك بيدها، يداعب بإبهامه عروقها الزرقاء الخفيفة تحت بشرتها:

ـ أولاً.. لا تدعي أبداً أي شيء، أو أياً كان، مثل كاندي يقف في طريقنا مرة أخرى.

هزت رأسها إيجاباً وشهقت بالبكاء فرحاً:

ـ أنا آسفة ميتش.. كنت قد أسأت بالحكم عليك.. كنت واثقة أنك مستعد لفعل أي شيء في سبيل تحقيق نجاحك العملي.

قال برقة، وبقليل من الخجل:

ـ ما يجب أن تعرفيه هو أنني أحبك غرايس.. وهذه أول مرة بالنسبة لي. لم أشعر قط نحو أي شخص ما أشعر به نحوك.. أحب عقلك وروحك

وجسدك وكل شيء فيك..

لم تستطع إلا أن تسدل ذراعيها حول عنقه وتصيح:

ـ أوه ميتش.. أوه ميتش.. ما أسعدني.. لا أستطيع تصديق هذا.

ضغط إصبعه على شفتيها لتشعر بالاسترخاء:

ـ من الأفضل أن تصدقي.. ويجب أن تعديني أنك لن تكوني خائفة من طرح أي سؤال يراودك. تعالي إليّ وصارحيني بأي شك.. أنا.. أنا أريد أن تكوني شريكة حياتي!

سالت الدموع على خدي غرايس، وحرقت عنقها.. ولم تستطع أن تتكلم.

ارتفعت يداه تحيطان برأسها، ثم ابتسم:

ـ أخشى أن لا أستطيع أن أعدك بالثراء.. فقد تنجح شركة أفلام تروبيكانا، وقد لا تنجح.. كل ما أستطيع تقديمه هو حبي وحياتي.. لكنني آمل أن يكون هذا كافياً لإقناعك بأن علينا أن نتزوج.

مسحت دموعها وابتسمت وآثار البكاء ما تزال على وجهها. وأكمل:

ـ هكذا.. هذه هي نقطتي الرابعة.. هل تتزوجينني؟

ـ لدي نقطة أقولها.

ـ هل تتزوجيني؟

ـ مهلك لحظة ميتش.. أنت الآن متحمس ومستعجل.

ـ لا شك في هذا.. هيا أخرجيني من بؤسي.

ـ أردت فقط أن أوضح أنني أحبك أيضاً ميتش، وأنا آسفة لأنني تسرعت وقدمت استقالتي بلحظة غضب.. وأريد أن أقول لك إنني سأبقى هنا لأكون إلى جانبك دون وظيفة.. أنا أحب عملي كثيراً، لكنني أعرف الآن أنني أحبك أكثر.

سحب نفساً عميقاً: «حمداً لله.. لكنك بطريقة ما سرقت كل اهتمامي ومشاعري.. آخر نقطة أردت أن أطلبها كانت أن ترمي تلك الاستقالة من النافذة.. هل تظنين أنك تتقبلين أن أكون رئيسك وزوجك معاً؟».

ـ أعتقد أننا كنا فريق عمل رائع.

سارع ميتش يصحح لها:

ـ إلا إذا أردت أطفالاً على الفور، مع ما يرافقهم من توابع.

التصقت غرايس بفارس أحلامها.. الرجل الجذاب اللطيف المتنكر بدور عملاق جدي ومثير.. ثم نظرت إليه مباشرة وهي تقول:

ـ سأقول لك ما أريد بالضبط سيد وينتويرث.. أريد أن أتزوجك، وأن أشاطرك حياتي يا حبيبي ميتش.. وفيما بين هذا وذاك، أريد أن أعمل معك، وأصنع الأفلام معك، وفي المستقبل أريد إنجاب الأطفال منك.

وأخذت تعد إصبعاً من أصابعها الخمسة وهي تقرر كل نقطة:

ـ هذا هو الترتيب الذي وضعته في ذهني.. فما رأيك؟

وضع ميتش يده بيدها: «تبدو هذه الخطة الخمسية بكاملها».

* * *